قصص القرآن

خصائص وأهداف ومقاصد ودلالات

(دراسة للقصة بين المدلول القرآني والمفهوم الأدبي)

إعداد

الدكتور / علي عبد الحميد عيسى عثمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

من ١٨٧٥ إلى ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله الذي أنزل الفرقان رحمة للعالمين، وجعله مناراً للمهتدين ، ونوراً للمستضيئين، وجعله زماماً للفكر في شططه ، وقياداً للعقل في تمرده ، ومرشداً للعلم في جولته ، ومحاراً للمفكر في حيرته ، وملجأ للفيلسوف من ورطته ، ودستوراً للحاكم في دولته ، ونظاماً للمحكوم في أمته ، وشفاء للصدور في حكمته ، وربيعاً للقلوب في روضته ، وعزاءً للفقير في ضيعته ، وواعظاً للغني في بهجته ، وأنيساً للمستوحش في وحشته ، ونجياً للمؤمن في خلوته ، وهدىً للعالم برمته .

أحمده حمد مقر بفضله، ومعترف بآلائه ، فله الحمد أولاً وآخراً وأصلي وأسلم على خير خلقه ، وخاتم أنبيائه، ومبلغ قرآنه والداعي إلى الله على صراط مستقيم [١].

وبعد ،،

فإن الناظر في تاريخ الأمة يجد أن حالها قبل الإسلام ونزول القرآن على النبي المصطفى ـ ﷺ ـ كان حالاً مريراً، حيث كانت تعيش في تخبط وتيه ، وتأخر وتخلف في كثير من مناح الحياة ، قبائلها متشتتة، لا صلة دينية توحد صفوفهم ، ولا مصلحة اقتصادية تضمهم، ولا رابطة سياسية تربطهم، ولا سلام يسود بينهم ، ديدنهم توارث العداوات والأحقاد ، وشغلهم الحروب والغارات ، ودأبهم السلب والنهب ، ومعبودهم الأصنام والأوثان [٢] ، فأنزل الله هذا الكتاب العظيم هدىً ونوراً ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي ، (٥/١) .

(٢) خصائص القرآن الكريم : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان ، (ص:٥ ـ ٦) .

﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [١] فنقل الله به الناس من الشرك والجهل إلى التوحيد والهدى ، وتحولت تلك الأمة المتأخرة المتخلفة إلى أمة رائدة قائدة تأخذ بزمام البشرية فتقودها إلى سعادة الدارين .

فبالقرآن الذي حلَّ في القلوب ، وانعكس في الأعمال والأخلاق أصبح أولئك

الذين كانوا بالأمس مشتتين لا تجمعهم رابطة سياسية، ولا دينية ، أمة موحدة قوية، تنشر الحضارة في أرجاء العالم المضطرب.[٢]

نعم سطَّرت أمة القرآن أعظم حضارة في تاريخ البشرية ، واستمرت على ذلك قروناً ، ولكن أعداء الإسلام ـ ومنذ نزل القرآن ـ أدركوا أن سر قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بهذا الكتاب، لذلك لم يكن أمامهم إلا محاربته، وذلك بمحاولة إبعاد تأثيره على قلوب المسلمين ، وبصدهم عنه ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [٣] ، ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا ، وأعداء الدين يبذلون ما يستطيعون لصد الناس عن القرآن الكريم ، سالكين في ذلك كل سبيل .

يقول غلادستون: "مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان ".[٤]

ويقول المبشر ثاكلي: " يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً" .[١]

---

(١) سورة إبراهيم آية (١) .

(٢) من ضيع القرآن : شوقي أبو خليل ، (ص : ١٠) .

(٣) سورة فصلت الآية (٢٦) .

(٤) حالنا مع القرآن : عبد الكريم عبد الله العلي ، (ص: ٥٠) .

(١) المرجع السابق : (ص : ٥٠) .

فكان من نتيجة هذا الكيد المستمر أن امتلأت أوقات الأمة بتوافه الأمور ، فشغلت عن كتاب ربها، وأصابها ما أصابها من ضعف وهزيمة وفتن وويلات على مستوى الأفراد والجهات ، " وأصبح العالم الإسلامي يعيش تخلفاً مزرياً في كل جوانب الحياة السياسية والحربية،والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والمادية، والفكرية والخلقية ". (٢)

ولكن مادام الداء قد عُرف ، والمرض قد شُخِّص ، فلا يبقى من ينشد النجاة إلا مباشرة العلاج،وذلك بالاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فبالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ نستلهم منهما الأهداف والمبادئ والقيم، ونطبق ذلك في حياتنا، ونربي عليه نشأنا كما فعل أسلافنا من الجيل الأول ، بذلك سوف يعود لأمتنا عزها ، وتعود لها مكانتها بين الأمم ، فتعود قائدة رائدة كما كانت ، وكما يجب أن تكون ، هدىً ومناراً للعالمين .

ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى رياض القرآن الكريم ، علماً وعملاً وتدبراً وتطبيقاً ، ولا يكون هذا إلا بعد فهم معانيه ، وكشف مراميه ، وما قد يلتبس فيه على المرء من معان ، ومن هنا يتضح لنا أهمية دراسة التفسير وشرفه ، فشرف كل علم بشرف ما يبحث فيه ، فلما كان التفسير يبحث في بيان معاني كلام الله ، كان أشرف العلوم وأعظمها قدراً ، وأرفعها مناراً ، وأخصها محبة ودليلاً ، وأوضحها محجة وسبيلاً .

ومن هذه الموضوعات التي اعتنى بها القرآن الكريم عناية فائقة "قصص القرآن" ؛ لأن القصة القرآنية قد جاءت بكثير من الفوائد المهمة ، والقواعد الأساسية، التي يقوم عليها عماد الدين الإسلامي، فنجد فيها العقائد والأحكام والتشريعات والتاريخ والبلاغة والأخلاق وغيرها .

يجيء هذا البحث ليعرف بخصائص وأهداف ومقاصد ودلالات القصص القرآني ، ليكون واقعاً ترضى وتقبل به النفوس ، فيقبل

---

(٢) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر : محمد قطب ، (ص: ١٨٧) .

المربون على الأخذ بتوجيهات القصة للوصول إلى أفضل تربية وأحسن أدب .

ومن جانب آخر توضح مدى البون الشاسع بين القصة في المدلول القرآني والمفهوم الأدبي ، فتظهر لنا مدى الإعجاز في قصص القرآن ، وانفراده بأمور كثيرة لا توجد في قصص غيره ، فسبحان الحكيم الخبير .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

ـ القصة القرآنية ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان القلبي، بما تدعو إليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبما تعمل من مثل عليا في مجال الجهاد والتضحية والصبر ، في سبيل الدعوة إلى الحق ، والتوجيه إلى الخير ، والتنكر للباطل ، والصمود في وجه الظلم والطغيان.

كما أنها ميدان خصب للتوجيهات الهادفة ، والإرشادات النافعة لإقامة مجتمع إنساني متحرر من ربقة التقليد والانحلال ، وذلك بما تشتمل عليه من بيان أسباب قوة الأمم وضعفها، وتماسكها وانحلالها، ورفعتها وانحطاطها .

ـ القصة في القرآن الكريم على جانب كبير من الأهمية، فهي قالب تربوي وإعلامي تنفذ من خلاله الدعوة إلى القلوب فتهزها ، وإلى النفوس فتطهرها وتعلي قدرها ، تثير في النفس العواطف ، وتجذب القلوب ، وتهيئ العقول إلى الترقب والتلقي .

ـ إن القصة القرآنية في أنواعها وتنوعها، جاءت لترصد صوراً مجسمة لتلك المعركة الأدبية بين الخير وقادته ، والشر وأهله.

سواء جاءت على هيئة المثل ، أو جاءت في نسق تاريخي ، أو عبرت عن الجانب النفسي في الإنسان، أو قادت إلى جوانب تعليمية تصقل العقل وتفتح الإدراك ، أو سيقت لهدف العظة والعبرة ... فهي في كل هذه الأنواع أداة راصدة لحركة العقل البشري بين حركتين كبيرتين ، حركة الإيمان وما يقابلها من حركة الكفر ، كما أن طرائق التنوع في الشكل القصصي من إبراز المشاهد الحسية ،

ومن إجمال وتفصيل ، وبسط وإيجاز، وطول في القصص وقصر، وطريق التعامل مع القصة من حيث زمن البدء وتناميه مع موضوع السورة والسياق ، وإبراز الخوارق جاءت في الإطار التعبيري المتوحد ، فضلاً عن الإثارة والتشويق ، وغير ذلك من ألوان التنوع، ليتضافر ذلك كله في وحدة فنية كاملة، تفي بالغرض الديني والفني معاً .

ـ انفراد القصص القرآني بميزة فريدة في نوعها، وظاهرة واضحة في بابها، وهي مخاطبة العقل والعاطفة ، ومناجاته للفكر والوجدان معاً في آن واحد على نحو لا تجده في قصص غيره .

ـ حاول المستشرقون أن يشككوا في صدق القصص القرآني وأنه مخالف للتاريخ ، وأعلوا من جانب القصص الأدبي على القصص القرآني ، فأردت بهذه الدراسة أن أبين أن القصص القرآني ظاهرة فريدة ، وصورة من صور إعجاز القرآن الكريم ، لا مثيل له في عرضه، ولا نظير له في أسلوبه ، أردت أن أبسط الحديث عن ذلك وأن أجليه واضحاً ، وأن أذكره مفصلاً ، وأن أقدمه في صورة واضحة ، وثوب جديد ، وقالب أخاذ من خلال عرض للقصص القرآني والقصص الحديث ، وأنواع كل منهما .

ـ حاجة الساحة العلمية إلى نوع من هذه الدراسة بالتفصيل ، بجمع شتاته وتجليته وتصويره من كل جوانبه ، والغوص فيه ، لاسيما والقصص القرآني تمثل آياته ربع القرآن الكريم أو يزيد .

خطة البحث :

اشتمل هذا البحث على فصلين:

الفصل الأول : القصص ومكانته في القرآن الكريم :

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالقصة :

ويشتمل على :

أولاً : تعريف القصة لغة واصطلاحاً .

ثانياً : ورود القصة في القرآن الكريم .

ثالثاً : ورود القصة في السنة المطهرة .
رابعاً : المقصود بالقصة في هذا البحث .
المبحث الثاني : خصائص القصص القرآني :
ويشتمل على :
١ ـ الواقعية .
٢ ـ التنوع في طريقة العرض .
٣ ـ التنوع في طريقة المفاجأة .
٤ ـ الفجوات بين المشاهد في عرض القصة .
٥ ـ التصوير الفني .
٦ ـ مراعاة الجانب التربوي .
٧ ـ بيان صور الأدب التي تحلى بها الرسل عليهم السلام .
٨ ـ التركيز على جانب الدعوة .
٩ ـ إلقاء الضوء على الجانب المهم في القصة .
١٠ـ التكرار .
المبحث الثالث : أهداف ومقاصد القصص القرآني :
ويشتمل على :
١ ـ بيان صدق الوحي الإلهي .
٢ ـ بيان أن دعوة الرسل واحدة .
٣ ـ إبراز موقف الأمم من رسلها .
٤ ـ ترهيب الكافرين .
٥ ـ بيان نعم الله على رسله وأوليائه .
٦ ـ أخذ العبرة والعظة .
٧ ـ تثبيت قلب النبي ﷺ والتسرية عنه .
٨ ـ الاهتمام بالجانب التربوي .
٩ ـ إرضاء العقل والعاطفة .
المبحث الرابع : مكانة القصة في القرآن الكريم .

الفصل الثاني : القصص بين المدلول القرآني والمفهوم الأدبي :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : عناصر القصة :

١ ـ الأحداث .　　٢ ـ الشخصيات .
٣ ـ الأسلوب .　　٤ ـ الحوار .
٥ ـ العقدة وحلها .　　٦ ـ التشويق .
٧ ـ الهدف .　　٨ ـ الزمان .
٩ ـ المكان .

المبحث الثاني : القصص القرآني والقصص الحديث :
ويشتمل على :
أولاً : نشأة القصة وتطورها .
ثانياً : أنواع القصة القرآنية .
ثالثاً : أنواع القصة الحديثة .
رابعاً : شروط القصة الحديثة .

المبحث الثالث : علاقة القصة بفنون الأدب المختلفة :
١ ـ الأقصوصة .　　٢ ـ الرواية .
٣ ـ الملحمة .　　٤ ـ الحكاية .
٥ ـ التمثيلية .　　٦ ـ المسرحية .
٧ ـ الأسطورة .　　٨ ـ المقامة .
٩ ـ المقالة .

ثم ذيلت هذا البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات ثم مصادر البحث ، والفهرس .

والله أسأل أن يكون هذا العمل متقبلاً ، وأن يجبر كسري ، وأن يغفر لي ذلتي .

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

القصص ومكانته في القرآن الكريم

المبحث الأول

أولاً : تعريف القصة لغة واصطلاحاً

(١) تعريف القصة لغة :

ترد مادة " قص " في لغة العرب لمعان كثيرة هي :

١ ـ المتابعة والتتبع والاقتفاء :

قال ابن منظور رحمه الله: " يقال قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [١] أي: اتبعي أثره .

ومنه قول أميه بن أبي الصلت [٢] :

قالت لأخت له قصِّيه عن جُنُبٍ ∴ وكيف يقفو بلا سهلٍ ولا جدد[٣]

والقاصُّ : الذي يأتي بالقصة على وجهها ، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ، وقيل لاتباعه القصة خبراً بعد خبر، وعلى هذا فالقصص : هو الخبر المشتمل على المعاني المتتابعة [٤] .

٢ ـ الحديث ، والخبر ، والبيان :

جاء في المصباح المنير : قصصت الخبر قصاً من باب قتل : حَدَّثْتُ به على وجهه. [٥]

وفي اللسان: " القصة: الخبر ، وقصَّ عليَّ خبره: أورده ، والقصة الحديث، يقال: اقتصصت الحديث: رويته على وجهه: والقصُّ البيان [١].

---

(١) سورة القصص من الآية ١١ .

(٢) هو أُمَيَّة بن أبي الصلت الثقفي " شاعر حكيم حرَّمَ الخمر في الجاهلية ، وترك عبادة الأوثان ، وكان يرجو النبوة ، ولما ظهر الإسلام لم يسلم ومات بالطائف سنة ٥ هـ ، خزانة الأدب ١ / ٢٤٧ .

(٣) البيت نسبه ابن منظور في اللسان لأمية بن أبي الصلت ٧ / ٧٣ .

(٤) اللسان : ٧ / ٧٣ ، وتفسير الفخر الرازي : ٤ / ٩٤ .

(٥) المصباح المنير : ٢ / ٦٩٣ .

(١) اللسان : ٧ / ٧٤ .

وعلى هذه المعاني جاء قول عمر بن أبي ربيعة [٢] حاكياً قول عشيقته:

فإن كَانَ مَا لابُد مِنهُ فغَيرُه ∴ مِنْ الأمر أدنَى للخَفَاءِ وأستُر
أقصَّ على أختى بدءَ حَدِيثَنَا ∴ ومَالِي مِنْ أنْ تَعلمَا مُتَأخرُ [٣]

٣ ـ القطع: قال ابن منظور: " أصل القصِّ : القطع ، يقال قصَّ الشعر والصوف والظفر يقصه قصاً : قطعه "[٤] .

وجاء في المصباح المنير: " قصصته قصاً من باب قتل: قطعته"[٥]

٤ ـ الحكاية والرواية : جاء في لسان العرب : القصة الرواية ، يقال: اقتصصت الحديث : رويته على وجهه ". [٦]

وجاء في أساس البلاغة: القصة : الحكاية والرواية ، ومنه قول هدبة بن خشرم: [٧]

فقصوا علينا ذنبنا وتجاوزوا ∴ ذنوبهم عند القصيصة والأثر[٨]

٥ ـ الشأن والأمر: جاء في المصباح المنير: " القصة الشأن والأمر ، يقال ما قصتك؟ أي ما شأنك " [١]

٦ ـ الإيراد: قال صاحب اللسان : " والقصُّ : الإيراد ، وقصَّ عليَّ خبره : أورده " [٢] .

---

(٢) هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي ، لم يكن في قريش أشعر منه ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وكان كثير الغزل والنوادر ، والمجون ، يتعرض لنساء الحج ويشيب بهن ، ركب سفينة فاحترقت به سنة ٩٣ هـ ، وقيل غير ذلك ، خزانة الأدب ١ / ٢٤٧ .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، من قصيدته الرائية ، ص ١٢٥، ط . دار صادر ، بيروت.

(٤) اللسان : ٧ / ٧٣ .

(٥) المصباح المنير : ٢ / ٦٩٣ .

(٦) اللسان : ٧ / ٧٤ .

(٧) هو هدبة بن خشرم بن كرز ، شاعر فصيح من بادية الحجاز ،كان يروي الشعر ، روىٰ للحطيئة وغيره ، قتل قوداً سنة ٥٠ هـ(الأغاني للأصفهاني ٧ / ١٦٩) ط . دار الفكر.

(٨) أساس البلاغة للزمخشري ٢ / ٤١٥ ، ونسب البيت لهدبة بن خشرم .

(١) المصباح المنير : ٢ / ٦٩٣ .

٧ ـ الجملة من الكلام : قال ابن منظور رحمه الله : " يقال في رأسه قصة : يعني الجملة من الكلام " [٣] .

٨ ـ القوَدُ ، وشَعْرُ النَاصِية : جاء في اللسان : القصاص: القودُ ، وهو القتل بالقتل ، والجرح بالجرح ، وقصة المرأة : ناصيتها "[٤].

هذه هي مجمل المعاني التي ترد لها مادة قصَّ ، وما اشتق منها ، ويلاحظ الآتي :

(١) أن القصص معناه المتابعة ، وقد أكد القرآن هذا المعنى .

(٢) أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق ، ويؤيد ذلك أن القصة فيها معنى القص ، وهو القطع ، فهي في أصل وضعها صادقة ، تلقى كما هي بدون زيادة أو نقصان .

(٣) أن القصَصَ ـ بالفتح ـ : اسم للخبر المقصوص ، وهو مصدر سمي به المفعول يقال: قص على فلان: إذا أخبره بخبر ، والقِصَصُ ـ بالكسر ـ جمع القصة التي تكتب ، وجمع الجمع : أقاصيص ، وقد صح لغة أن أقاصيص جمع لأقصوصة [٥] .

(٤) أن مادة القصِّ فيها الفك والإدغام في المصدر ، فيقال: قصصت الخبر قصاً ، وقصصاً .

* هذا وقد جاء في كتاب الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله ومعانيها: " أن معنى القصة في القرن الكريم يدور على ستة أوجه وهي:

١ ـ التسمية : ومنه قوله تعالى : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ [١] يعني سمَّيناهم لك ولم نسمِّهم .

---

(٢) اللسان : ٧ / ٧٤ .

(٣) اللسان : ٧ / ٧٣ .

(٤) اللسان : ٧ / ٧٥.

(٥) لسان العرب ٧ / ٧٤ ، وتفسير التحرير والتنوير : ١ / ٦٤ .

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

٢ ـ القراءة : ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ [٢] أي يقرؤون ويتلون .

٣ ـ البيان : كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[٣] أي: يبين .

٤ ـ الطلب للأثر : ومنه قوله تعالى : ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾[٤] ، يعني : يقصان الأثر يطلبان الموضع الذي انسرب الحوت فيه .

٥ ـ الإخبار: كما في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾[٥]: أي أخبر .

٦ ـ التنزيل: ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ ﴾[١] أي: ننزل عليك [٢].

هذه هي المعاني اللغوية للقصة في القرآن الكريم ، ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الاشتقاق اللغوي للقصة : هو عبارة عن كشف لآثار ، وتنقيب عن أحداث نسيها الناس، أو غفلوا عنها ، أو جهلوا بها، وغاية ما يراد بهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد ؛ لتذكير الناس بها، وتوجيههم إليها ، ليكون لهم منها عبرة وموعظة .[٣]

---

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣٥ .

(٣) سورة النمل من الآية ٧٦ .

(٤) سورة الكهف من الآية ٦٤ .

(٥) سورة القصص من الآية ٢٥ .

(١) سورة طه من الآية ٩٩ .

(٢) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله ومعانيها للدمغاني ، ص ٧٤١ .

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه للأستاذ / عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٨ ، ط دار الفكر العربي .

(٢) تعريف القصة اصطلاحاً :

للقصة اصطلاحاً تعريفات متعددة ، وذلك بحسب اصطلاح كل علم ، فالقصص القرآني يختلف تعريفه في الاصطلاح عن تعريف القصة بالمعنى الحديث ، وسوف أتناول هذه التعريفات بغية البحث والمقارنة فأقول:

تعريف القصص القرآني اصطلاحاً :

يُعَرَّفُ القصص القرآني بأنه: إخبار الله تعالى عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم ، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات من كائنات بشرية، أو غير بشرية بصدق للهداية والعبرة.(٤)

ويعرفه الأستاذ عبد الكريم الخطيب بقوله : إنه تتبع أحداث ماضية واقعة وعرض ما يرى عرضه منها .

وقد أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية ، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النور وجحافل الظلام (١) .

ويتضح من هذين التعريفين الآتي :

١- أن القصص القرآني : هو إخبار الله عن أحداث الأمم السابقة ، وتتبعها ، وإيرادها على وجهها كما هي ، من خير وشر ، وإيمان وكفر وتصديق وتكذيب ، ونجاة ، وإهلاك .

٢- أن هذه الأخبار هي أحداث واقعية صادقة لا كذب فيها ولا خيال.

٣- أن الغرض من هذه القصص هو الهداية والعبرة والعظة والتدبر في أحوال السابقين .

٤- أن القصص القرآني يعرض حلقات من الأحداث لا كل الأحداث.

القصص القرآني والسيرة النبوية :

---

(٤) القصص القرآني للدكتور/ عبده إبراهيم بلبول ، ص ٣٦، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين بالقاهرة.

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٤٠ ، ٤٥ .

هذا ويلاحظ أن حديث القرآن عما حدث لسيدنا محمد ﷺ مع قومه ، ومع أصحابه وأهل بيته لا يعد من قصص القرآن، وذلك مثل: دعوته لقومه ، وغزواته ، وجهاده ، وزواجه ، وحواراته ٠٠٠ الخ ، وذلك لما يأتي :

١ ـ أن هذه الأحداث ليس فيها عنصر القص والمتابعة ، كما هو الحال في القصص الماضية .

٢ ـ أنها لا تعتبر قصصاً بالنسبة للنبي ﷺ والصحابة ﷺ ، وذلك لأنهم شاهدوا تلك الحوادث، وعاينوها، ونزل القرآن يتحدث عنها؛ فهي بالنسبة لهم أحداث حاضرة .

٣ـ أن القرآن الكريم لم يصف هذا النوع من الأحداث بالقصص ، وإنما وصف الأخبار الماضية بذلك ، يؤيد ذل قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ (٢) .

٤ ـ أن هذه الأحداث مسوقة لاستخلاص العبرة والعظة منها،والتفطن لأسباب النصر والهزيمة ، كما أن فيها كثيراً من التشريعات ، كحادثة أخذ الفداء من أسرى بدر ، وكمشروعية زواج الرجل بمطلقة ولده من التبني ، وككفارة الظهار في سورة المجادلة ٠٠ الخ .

٥ ـ أن تعريفات القصص القرآني تصفه بأنه إخبار عن أحداث ماضية ٠٠٠الخ ، والقرآن وقت نزوله قص أخبار الماضين ، وعلى هذا فالحوادث في فترة الرسالة هي أحداث لا قصص .

يقول ابن عاشور رحمه الله : " القصة : الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها ، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"(١) .

---

(٢) سورة طه من الآية ٩٩ .

(١) تفسير التحرير والتنوير ، ١ / ٦٤ .

٦ ـ ولعل من بين الأدلة الدالة على ذلك أن المؤرخين يسمون أخبار الأنبياء بالقصص فيقولون: قصة آدم وقصة نوح٠٠ الخ ، ويسمون أخبار النبي ﷺ وأحداثه بالسيرة النبوية .

تعريف القصة بالمعنى الحديث :

للقصة بالمعنى الحديث تعريفات كثيرة ومتنوعة ، وذلك لأن كل كاتب تأثر بظاهرة معينة فذهب يعرف القصة من تلك الزاوية دون غيرها ، والتعريف المختار في نظري هو: تعريف الأستاذ/ محمود تيمور[٢] رحمه الله فقد عرفها بقوله :

" هي عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب ، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته ، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره ، فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القراء محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه "[١] .

ويبدو للناظر لأول وهلة أن تعريف القصة القرآنية لا يتفق ، ولا ينطبق كل الانطباق مع تعريف القصة بالمعنى الحديث .

ويمكن إجمال الفروق بين القصة القرآنية والقصة الحديثة فيما يلي:

(١) فروق في المصدر : فمصدر القصة القرآنية هو القرآن الكريم الذي لا ينطق إلا بالحق ، ويعلم حاجات النفوس ، وميول القلوب ، ويربي ، ويعلم ، ويوجه ، ويهذب ، ويصلح ، ولذا ركز القرآن على القصة وجعلها دعامة ووسيلة لتبليغ دعوته وهداية الناس .

أما القصة الحديثة فمصدرها البشر ، وهم يصيبون ويخطئون ويعتريهم ما يعتري البشر من الخطأ والنسيان ، والغفلة ، والميول والأهواء ٠٠٠ الخ، فغالباً ما تتأثر القصة

---

(٢) هو : محمود بن أحمد بن إسماعيل تيمور ، كاتب قصصي نابغة ، ولد سنة ١٨٩٤م ، وفي بداية حياته كتب القصة بالعامية ، ثم حمل لواء الفصحى ، فأجاد وابتكر ، من مؤلفاته: قال الراوي وصقر قريش ، توفى سنة ١٩٧٣م ، الأعلام ٧ / ١٦٥ .

(١) فن القصص : للأستاذ / محمود تيمور ، ص ٤٢ ، ط. مجلة الشرق .

بفكر صاحبها وعواطفه، ومذهبه وطريقته ، فتجد روحه تسري في قصته ، وتجد القصة معبرة عن فكر واتجاه صاحبها .

(٢) الواقعية وتصوير الأحداث بحقيقة مطلقة : فالقصة القرآنية تعبر عن الأحداث الماضية بصدق لا كذب فيه ، وبحق لا مرية تداخله، وبواقعية لا خيال فيها ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تكون خيالية ، أو مزيجاً من الواقع والخيال، وذلك لأنها حديث القرآن الذي لا يقص إلا الصدق ، ولا ينطق إلا بالحق .

أما القصة الحديثة فإنها قد تكون واقعية ، أو خيالية ، أو مزيجاً من الواقع والخيال، وواقعيتها قليلة بالنسبة لخيالها، ولذلك فإن خيال الكاتب غالباً ما يشيع في القصة، فهو يريد أن يصور لك فكره ونفسيته،وعاطفته ولذا فهو كثيراً ما يجنح إلى الخيال ، ونسج غير الواقع حتى يثير القارئ أو السامع ويؤثر فيه .

(٣) الهدف من القصة القرآنية هو الهداية والرشد وأخذ العبرة والعظة من أحوال السابقين ، بخلاف القصة الحديثة فقد يكون هدفها هو نقل الصورة وحكاية الأحداث، أو يكون هدفها سياسي، أو تاريخي أو أسري ، وقد يكون هدفها هزلياً للفكاهة ، والتسلية ... الخ .

(٤) لا يشترط في القصة القرآنية أن يكون لها وحدة فنية ، بحيث تكون مستقلة في موضوعها ، وطريقتها ، وسير حوادثها ، وترتيب تلك الحوادث ، وكل ذلك لابد من توافره في القصة الحديثة .

(٥) القصة الحديثة يعني كاتبها فيها برسم شخصياتها ، بحيث يتوجه كل اهتمام الكاتب إلى الشخصيات فيصورها تصويراً دقيقاً من كل الزوايا المتعددة ، بيد أنه قد يهمل حدثاً ، أو يتناسى أسلوباً ، أو يتغاضى عن زمان القصة ومكانها ، وربما يثير مشكلة ويرجئ حلها ، وقد يكون فيما تركه الخير والفضل عما ذكره ، هذا مع ملاحظة أن الشخصيات غالباً ما تكون من صنعه وخياله ، ومن هنا كانت القصة الحديثة قائمة على البطل الذي يخطف الأضواء والاهتمام من باقي عناصر القصة ، أما

القصة القرآنية : فإن الاهتمام فيها لا ينصب على الشخصيات وحدها ، بل تشترك عناصر القصة كلها في هذا الاهتمام ، والذي يظهر هو ما له صلة بالعظة والعبرة ، فمثلاً يتناسب توزيع الحدث مع الشخصية بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ، فتارة تتوارى الشخصية ليظهر الحدث ، وتارة العكس .

(٦) القصة القرآنية تقنع العقل وترضي العاطفة في آن واحد ، فهي تخاطبهما كجناحي طائر، وتناجيهما معاً كجانبين مهمين في الإنسان ، فهي تخاطب العقل وتحثه على النظر، والتأمل، والتفكر، والاعتبار، والتدبر ، والعظة .. الخ ، وهي أيضاً تناجي العاطفة وتثيرها وتأمر بالحب ، والرحمة ، والمودة، والإخاء، ونبذ الحقد، والحسد، والسخرية، والاستهزاء ... الخ .

أما القصة الحديثة فغالباً ما ترضي العاطفة وتميل إلى جانبها، ومن ثم كثرت القصص العاطفية ، وهي بذلك تلغي العقل ، وتهمله وتغضبه ؛ لأن فيها ما لا يقبله ولا يقره ، ولا يرضى عنه بحال من الأحوال ، وقد تكون القصة مقنعة للعقل بالحجة والبرهان ، وحينئذ ترفضها العاطفة لأنها أهملتها ولم تستثيرها وتشبعها .

(٧) ومما يميز القصة القرآنية عن غيرها ظاهرة التكرار التي امتاز بها القصص القرآني ، فقد تكررت فيه القصة بحلقة جديدة ، ونمط مغاير ، ومعنى فريد ، وذلك من أساليب البلاغة والإعجاز التي امتاز بها قصص القرآن [١] .

يقول الدكتور بكري شيخ أمين : " إن تعريف القصة الحديثة ـ كما تواضع عليها كثير من رجال فنها ـ لا ينطبق كل الانطباق على مفهوم القصة القرآنية، فهي ليست خاطرة، ولا تسجيلاً لصورة ، ولا بسطاً لعاطفة ، ولا لوناً من ألوان الأقصوصة ، أو الرواية ، أو الحكاية بالمعنى المتعارف عليه ، وهي كذلك لا تحمل من العناصر

---

(١) بتصرف : من القصص القرآني . د. بلبول . ص ٣٢، والقصص القرآني في منطوقه ، ص ٣٩ ، ومن التعبير الفني ، ص ٢١٧ ، ومن الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣ / ١٨٤ ، ط . دار الفكر ، بيروت .

الفنية ما حملها نقاد العصر، فهي ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقته وسير حوادثه كما هو الحال في القصص الفني ، إنما القصة القرآنية وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها القرآن لغرضه الأصيل وهو : التشريع ، وبناء الفرد والمجتمع ، والقصة التي ترد فيه لا تختلف في غايتها عن المثل الذي يضربه للناس ، فهي تأتي للعظة والاعتبار .

مخطئون أولئك الذين يدرسون القصة القرآنية كما يدرسون القصة البشرية ، وأولئك الذين يبحثون عن الوحدة الفنية فقط في القصة القرآنية ، وأولئك الذين يريدون تعلم التاريخ من قصص القرآن الكريم.[١]

* * *

ثانياً : ورود القصة في القرآن الكريم

وردت مادة " قص" ومشتقاتها ستاً وعشرين مرة في القرآن الكريم[٢] ويلاحظ في ورود " المادة ومشتقاتها " أمران :

الأول : أن مادة القص وردت بالإطلاق اللغوي مرتين :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [٣] أي : تتبعي أثره

الثانية : في قوله تعالى : ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [٤]، أي : اقتصاصاً وتتبعاً للأثر .

---

(١) التعبير الفني في القرآن ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٦٥٤ ، ٦٥٥ .

(٣) سورة القصص من الآية ١١ .

(٤) سورة الكهف من الآية ٦٤ .

الثاني : أن ما ذكر بالمعنى الاصطلاحي بعد النقل من اللغة ورد في أربع وعشرين مرة ، منها قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (٥) .

وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (٦).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(١).

فهذه الآيات الثلاث ـ وغيرها كثير ـ تفيد رواية ما حدث للسابقين وبيان أخبارهم بصدق ويقين ، هذا وقد وردت لفظة " القصص " بمعنى حكاية أخبار الأمم السابقة في أربع آيات في القرآن الكريم ، وهي :

(١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (٢).

(٢) وقوله سبحانه : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

(٣) وقوله تبارك اسمه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾(٤) .

(٤) وقوله عز من قائل : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ (٥) .

---

(٥) سورة غافر من الآية ٧٨ .

(٦) سورة هود الآية ١٠٠ .

(١) سورة النمل الآية ٧٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٢ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٧٦ .

(٤) سورة يوسف من الآية ٣ .

(٥) سورة القصص من الآية ٢٥ .

ووردت لفظة " قصصهم " بمعنى أخبارهم وحديثهم مرة واحدة في قوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [٦] .

ويلاحظ: أن في القرآن سورة تسمى سورة القصص ، وهي السورة رقم ثمانية وعشرين في ترتيب المصحف،وهي التي بين سورتي النمل والعنكبوت وقد تحدث هذه السورة عن قصة موسى عليه السلام من مولده إلى إرساله ، ودعوته وتكذيب فرعون وقومه له ، وإهلاكهم بالغرق ، كما أنها تحدثت عن قصة قارون بالتفصيل الذي لا نجده إلا فيها .

ثالثاً : ورود القصة في السنة المطهرة

وردت مشتقات مادة " قصَّ " كثيراً في السنة المطهرة ، فقد جاءت لفظة " يقصُّ " بمعنى : يحكي ، ويروي ، ويتحدث ، في قوله ﷺ : "يرحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما "[١].

وجاءت لفظة " فاقتصوا آثارهم " بمعنى : تتبعوها في قوله ﷺ "... فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مآكلهم تمراً تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب " [٢].

وجاءت لفظة " يقصص في قصصه " بمعنى : يخبر في مواعظه في حديث الهيثم بن أبي سنان [٣] رضي الله عنه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه ، وهو يقصص في قصصه - وهو يذكر رسول الله ﷺ : " إن أخاً لكم لا يقول الرفث ، يعني بذلك : عبد الله بن رواحة " [٤] .

---

(٦) سورة يوسف من الآية ١١١ .

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه ١ / ٢١٩ ، برقم (١٢٢) .

(٢) جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه ١١ / ١٠٨ برقم (٣٠٤٥) ،.

(٣) الهيثم بن أبي سنان المدني التابعي روى عن أبي هريرة وابن عمر ، وروى عنه الزهري وغيره ، قال عنه أبو حاتم : هو صالح الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات . (تهذيب التهذيب لابن حجر ١١ / ٨٧ ، ط . دار الفكر ، بيروت) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٤ / ٤٣٩ ، برقم (١١٥٥) .

وجاءت لفظة " قصَّ " بمعنى : أخبر وحدَّث ، في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " ... وكان من رأى مناماً قصه على النبي ﷺ فقلت: اللهم إن كان لي عندك خير فأرني مناماً يعبره لي رسول الله ﷺ " (٥).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي وردت فيها هذه المادة ومشتقاتها .

رابعاً : المقصود بالقصة في هذا البحث

المقصود بالقصة في هذا البحث : هي القصة القرآنية التي أخبرنا الله بها في قرآنه الكريم ، والتي تتناول ما حدث للأمم السابقة من إيمان وكفر ، وتصديق وتكذيب، وخير وشر، ومجادلة وعناد ، وما دار بينهم وبين رسلهم ، وبينهم وبين المؤمنين ، وبينهم وبين أنفسهم ، وكيف كانت نهاية الظالمين ؟ ، وكيف نصر الله رسله والمؤمنين ؟ ، إنها جملة هذه الأخبار التي تحدث عنها القرآن الكريم بأسلوب القص والمتابعة والبيان .

ونعت القصة بأنها قرآنية يفيد الصدق في الأحداث، والوقائع، والأخبار ، فليس فيها كذب ، ولا خيال ، ولا تصوير للأحداث بغير ما هي عليه ، ويفيد أيضاً السمو في الهدف ، فالقصة القرآنية تساق للعظة، والعبرة ، وأخذ المنهج الصحيح ، والقدوة الحسنة ، والأسوة الفاضلة ، فهي تربي الأمة بأحداثها ، وأخبارها ، ووقائعها ، وتخاطب الإنسان عقلاً وروحاً ، منطقاً ووجداناً ، قلباً وقالباً .

ومن خلال ما سبق نخلص إلى :

أن نعت القصة بكونها قرآنية قيد يخرج لنا كل قصة غير قرآنية حتى ولو كانت صادقة واقعية، فالقيد صبغ التعريف بصبغة إلهية ، فهي القصة القرآنية المنزلة من عند الله تعالى ، الذي يعلم حاجات الإنسان العقلية والعاطفية، فهو يوجه العقل والعاطفة معاً، ويرشدهما ، ويقومهما ويهذبهما ، ويربيهما تربية صحيحة سليمة ،

---

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣ / ١٩٧ برقم ٧٠٣٠ .

وبذلك يستقيم الإنسان ، ويصبح مهيئاً لأن يكون خليفة حقيقياً لله في أرضه .

المبحث الثاني

(خصائص القصص القرآني)

امتاز القصص القرآني بجملة من الخصائص والسمات، ميزته عما عداه ، ولا توجد مجتمعة فيما سواه، وقد أخذت هذه الخصائص ضروباً وألواناً كثيرة من الواقعية ، والتربوية ، والتنوع في العرض والمفاجأة ، والتصوير الفني ٠٠٠ الخ ، وإليك بيان ذلك :

(١) الواقعية

الواقعية في الأدب : مذهب يعتمد على الوقائع ، ويعني بتصوير أحوال المجتمع على ما هي عليه .[١]

والمقصود بالواقعية في القصة القرآنية: أن أخبارها صدق، وأحداثها حق ، وشخصياتها غير مختلقة ، وحوارها ليس مفتعلاً ، وأسلوبها غير مزوَّق ، وأنها كلها صادقة وقعت كما أخبر عنها القرآن الكريم .

وجوانب الصدق في القصة متعددة ، فالذي يقص القصة هو الله رب العالمين ، فهي أولاً صادقة في مصدرها، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [٣]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ

(١) المعجم الوجيز ، ص ٦٧٨ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٤ .

مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [٤] وحوادثها واقعية صادقة ليس فيها كذب ولا خيال ، ولا افتعال ، شخصياتها كانت موجودة على أرض الحقيقة والواقع ، ليس من بينها شخصية واحدة مختلقة تؤدي دوراً يفرض سياق القصة وجوده كما هو الحال في القصص الأدبي ، وحوارها وأسلوبها طبيعيان لا تزويق فيهما ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ، وزمانها ومكانها حقيقيان بعيدان عن الخيال والأوهام، وهدفها ديني ، وتشويقها طبيعي فحازت الصدق من كل جوانبه .

ولقد أكد القرآن الكريم هذه الواقعية في كثير من آياته :

كما في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [١] .

قال ابن كثير رحمه الله: " أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيد " [٢] .

وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]

قال العلامة أبو السعود رحمه الله: "وجاءك يا محمد في هذه السورة أو في الأنباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه ، الجامع بين كونه حقاً في نفسه ، وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ، ولكون الوصف الأول حالاً له في نفسه حُلي باللام ، دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره " [٤] .

---

(٣) سورة النساء من الآية ٨٧ .

(٤) سورة النساء من الآية ١٢٢ .

(١) سورة آل عمران من الآية ٦٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٧١ .

(٣) سورة هود من الآية ١٢٠ .

(٤) تفسير أبي السعود ٣ / ٧٦ .

وقال ابن كثير رحمه الله : " أي : جاءك في هذه السورة قصص حق ، ونبأ صدق ، وموعظة يرتدع بها الكافرون ، وذكرى يتذكر بها المؤمنون " (٥) .

وكما في قوله جل ذكره عن أصحاب الكهف : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ (٦) .

قال العلامة أبو السعود رحمه الله : " قوله ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ إما صفة لمصدر محذوف ، أو حال من ضمير نَقُصُّ ، أو حال من ضمير نَبَأَهُمْ، أو صفة له ، أي : نقص قصصاً متلبساً بالحق ، أو نقصه متلبسين به ، أو نقص نبأهم متلبساً به ، أو نقص نبأهم المتلبس به " (١) .

وكل التقديرات تفيد أن الحق والصدق ملازم للقصة .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب عن الصدق في القصص القرآني:

" القصص القرآني بنيت لبناته من الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من الخيال ، ولا يطرق بابها طارق من الأوهام ، فهو يعبر عن أحداث وقعت بدقة فائقة ، وأمانة تامة ، ليس فيه شيء من الكذب ، فكله صدق لا شبهة فيه ، وحق لا مرية فيه ، إنه أنباء وأحداث تاريخية لم يدخل عليها شيء من غير الواقع، وهو مع هذا اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من قصص، من الإثارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة "(٢).

وإذا نظرنا إلى القصة الفنية نجد : أنها في القديم والحديث لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها ، بل كانت تعتمد على كثير أو قليل من عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير

---

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٧٧ .

(٦) سورة الكهف من الآية ١٣ .

(١) تفسير أبي السعود ٣ / ٣٦٦ .

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٤٠ .

ألوانها ، ويبدل ويغير في صورها وأشكالها ، ويزيد وينقص في شخصياتها ، ويفتعل ويزوق في حوارها وأسلوبها ، وهذا في الغالب هو اللون الذي تعتمد عليه القصة في الإثارة والتشويق .

وهنا يرد سؤال : هل إذا اعتمدت القصة اعتماداً كلياً على الحقيقة المطلقة يمكن أن تكون قصة بالمعنى المفهوم للقصة ، والمصطلح عليه؟ وهل يمكن أن تتماسك أحداثها ؟ ، وهل يوجد فيها عنصر الإثارة والتشويق ؟ ، وهل هي قادرة على أن تملك على الشخص شعوره ووجدانه ؟ .

والجواب: نعم ، فالقصص القرآني أمامنا خير شاهد على ذلك[١].

(٢) التنوع في طريقة العرض

القرآن الكريم نوع في طريقة عرضه للقصص القرآني ، فغالباً ما يكون لكل قصة طريقة عرض تخالف طريقة عرض الأخرى .

والملاحظ أن هناك أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة.

١.الأولى :- أن- يذكر القرآن- ملخصاً للقصة يسبقها ،- ثم يعرض تفصيلاتها بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها ، وذلك مثل: طريقة عرض قصة أصحاب- الكهف ،- فقد ذكر القرآن ملخصاً للقصة في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [٢] .

ثم بعد ذلك ذكر القرآن التفاصيل لأحداث قصتهم من تشاورهم قبل دخول الكهف ، وحالتهم بعد دخوله ، ونومهم ، ويقظتهم،

---

(١) بتصرف من المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٢) سورة الكهف الآيات ٩ ـ ١٢ .

وإرسالهم واحداً منهم ليشتري لهم طعاماً، وكشفه في المدينة، وعودته ،. وموتهم ،. وبناء المعبد عليهم واختلاف القوم في أمرهم ... الخ .

فكان ذلك التلخيص السابق على القصة مقدمة مشوقة للتفصيلات التي ذكرت بعد ذلك .

الثانية : أن تذكر عاقبة القصة ومغزاها ، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها ، وذلك مثل قصة موسى عليه السلام في سورة القصص ، وهي تبدأ هكذا : ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾ (١). ثم يمضي القرآن الكريم في ذكر تفصيلات قصة موسى عليه السلام من مولده ونشأته، ورضاعه، ونموه ، إلى أن بلغ أشده وقتل المصري ، وخرج من مصر ... الخ ، فكانت هذه المقدمة التي كشفت الغاية من القصة تمهيداً مشوقاً لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها هذه الغاية المرسومة المعلومة .

الثالثة : أن تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص ، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يغني مثل : قصة مريم عند مولد عيسى عليه السلام في سورة مريم ، ومثل قصة سليمان عليه السلام مع النملة ، والهدهد ، وبلقيس .

الرابعة : أن يحيل القصة إلى تمثيلية ، فيذكر فقط من الألفاظ ما يشير إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة

---

(١) سورة القصص الآيات ١ ـ ٦ .

أبطالها، وذلك مثل : قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت ، قال سبحانه : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ....﴾ [١]، وهذا إشارة إلى البدء ، أما ما يلي فمتروك لإبراهيم وإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٢] إلى نهاية المشهد الطويل الذي يتحدث عن نفسه بواسطة أبطاله .[٣]

(٣) التنوع في طريقة المفاجأة

وهذه خاصية أخرى امتاز بها القصص القرآني ، إنه ينوع المفاجأة في قصصه ألواناً متعددة .

(١) فمرة يكتم السر عن البطل والنظارة حتى يكشف لهما معاً في آن واحد ، مثل ذلك قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف ، فإننا أمام مفاجآت متوالية في القصة ، ولا نعلم لها سراً وموقفنا منها كموقف بطلها موسى عليه السلام ، بل إننا لا نعرف حتى اسم هذا الرجل الذي يتصرف هذه التصرفات العجيبة تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا ، وهكذا كل الجو غامض ومجهول ، ثم ينكشف السر فيعلمه موسى عليه السلام ويعلمه النظارة في آن واحد ، وذلك في نهاية القصة حين كشف عنه العبد الصالح لموسى عليه السلام وقد يخطر للأذهان أن تسأل: من هذا الرجل؟ ولكنها لن تتلقى جواباً، لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول ، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى ، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار ، ثم تبقى مجهولة أبداً .

(٢) ومرة يكشف السر للنظارة ، ويترك أصحاب القصة عنه في عماية، فهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٢٧ .

(٣) باختصار من التصوير الفني في القرآن للأستاذ / سيد قطب ، ص ١٨٠ .

ليشترك النظارة فيها منذ أول لحظة ، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين ، ومثال ذلك قصة أصحاب الجنة في سورة القلم ، يقول القرآن : ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[1]،وبينما نحن نعلم هذا، كان أصحاب الجنة يجهلونه ﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] ، وقد ظللنا نحن النظارة نسخر منهم وهم يتنادون، ويتخافتون، والجنة خاوية كالصريم حتى انكشف لهم السر أخيراً بعد أن شبعنا تهكماً وسخرية ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3] وذلك جزاء من يحرم المساكين.

(٣) ومرة يكشف بعض السر للنظارة ، وهو خاف على البطل في موضع ، وخاف على النظارة والبطل في موضع آخر في القصة الواحدة ، ومثال ذلك عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة ، وعرفنا نحن النظارة أنه بين يدي سليمان عليه السلام ، في حين أن بلقيس تجهل ما نعلم ، فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً ، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها

(١) سورة القلم الآيات ١٧ . ٢٠ .

(٢) سورة القلم الآيات ٢١ . ٢٥ .

(٣) سورة القلم الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

، حتى فوجئنا بسرها مع بلقيس في آن واحد ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ (١).

(٤) ومرة لا يكون هناك سر ، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة معاً في آن واحد ، ويعلمان سرها في وقت واحد ، وذلك مثل مفاجآت قصة مريم حين تتخذ من دون أهلها حجاباً فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل فتقول: ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ (٢)، نعم إننا عرفنا قبلها بلحظة أنه " الروح " ولكن الموقف لم يطل، فقد أخبرها: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ (٣) وقد فوجئنا كذلك معها إذ أجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴿قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ (٤) ، فالنظارة والبطل فوجئوا بكل هذا في آن واحد (٥) .

(٤) الفجوات بين المشاهد في عرض القصة

من خصائص المقصص القرآني في عرض القصة:. تلك الفجوات بين

---

(١) سورة النمل من الآية ٤٤ .

(٢) سورة مريم الآية ١٨ .

(٣) سورة مريم الآية ١٩ .

(٤) سورة مريم الآيات ٢٣ . ٢٦ .

(٥) بتصرف من التصوير الفني في القرآن ، ص ١٨٣ . ١٨٧ .

المشهد والمشهد ، التي يتركها تقسيم المشاهد ، وقص المناظر ، مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستار ، بحيث يترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملأها الخيال ، وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني ، وهي تضفي عليه روعة وبهاءً، وجمالاً ، فالقصص القرآني ليس كتاب تاريخ يذكر كل همسة ولمسة في قصصه ، كلا ، بل هو يطوي أحداثاً، ومواقف، وصوراً معلومة واضحة للقارئ، وهذا الأسلوب من أروع وأرفع الأساليب الفنية المتبعة في القصص .

ويسوق لنا الأستاذ :- سيد قطب رحمه الله- أمثلة على ذلك فيقول:

" إن إخوة يوسف عليه السلام بعد أن استيأسوا من أن يخلصوا - بنيامين - من بين يديه خلصوا نجياً يتشاورون : ماذا يقولون لأبيهم ؟ وبعد أن قال كبيرهم ما قال ، وحكم على نفسه بما حكم ، وقال لهم في نهاية حديثه : ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ ﴾ [1] ، وهذا الحديث دار بينهم في مصر ، وهنا يسدل الستار ، لنلتقي بهم في مشهد آخر لا في مصر ولا في الطريق ، ولكن أمام أبيهم ، وقد قالوا له ما وصاهم به أخوهم دون أن نسمعهم يقولونه ، إنما تطوي القصة هذه الأحداث لنجد أباهم يقول لهم : ﴿ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [2] .

ونرى مشهداً آخر بين يعقوب عليه السلام وبنيه ، نراه وقد ابيضت عيناه من الحزن ،- وهو دائم الحسرة على يوسف ،- وأبناؤه

---

(١) سورة يوسف الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٨٣ .

يستنكرون عليه ذلك كله ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [١] ، وهنا يسدل الستار ويطوون الطريق لا نعلم عنهم شيئاً ، إنما يرفع الستار فنجدهم في مصر أمام يوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [٢] ، هكذا تجد بين مشاهد القصة فجوات معلومة تترك لخيال القارئ والسامع يسبح فيها .[٣]

(٥) التصوير الفني

أول من ألف كتاباً مستقلاً في التصوير الفني هو الأستاذ سيد قطب فقد ألف كتابه " التصوير الفني في القرآن " وذكر فيه : " أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني ، والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة

---

(١) سورة يوسف الآيات ٨٤ ـ ٨٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٨٨ .

(٣) التصوير الفني في القرآن ص ١٨٧ بتصرف .

، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية .

فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر ، فيوردها شاخصة حاضرة فيها الحياة ، وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار ، فقد استوت لها كل عناصر التخييل، فما يكاد يبدأ العرض، حتى ينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب ، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع ، فهذه شخوص تروح وتغدو ، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات ، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتنم عن الأحاسيس المضمرة ، إنها الحياة ، وليست حكاية الحياة .

فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور كل هذا إنما هي ألفاظ جامدة ، وكلمات محدودة ، وليست ألواناً تصوِّر ، ولا شخوصاً تُعَبِّر ، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن ، وعلى هذا فالتصوير في القرآن هو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخييل ، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل ، وكثيراً ما يشترك الوصف ، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان"[١] .

ومن هنا يمكن القول: بأن التصوير الفني خاصية من أعظم وأبرز خصائص القصص القرآني ، ولا نجد ذلك التصوير في قصص سواه بهذه الصورة المكتملة ، والحياة النابضة .

والتصوير الفني في القرآن الكريم ألوان :

(١) لون يبدو في قوة العرض والإحياء : مثل قصة أصحاب الجنة في سورة القلم ، ومشهد إبراهيم وإسماعيل أمام الكعبة ، ومشهد نوح وابنه في الطوفان ، وكلها أمثلة لقوة العرض والإحياء حتى ليظن أن المشهد حاضر يحس ويرى .

(٢) ولون يبدو في تصوير العواطف والانفعالات وإبرازها : مثل قصة صاحب الجنتين ، وصاحبه الذي يحاوره ، وقصة موسى مع العبد الصالح ، وقصة مريم عند ميلاد عيسى ، والغرض

---

(١) التصوير الفني في القرآن ص ٣٦ ، ٣٧ بتصرف .

الديني قد برز في أحداث القصة ، وكذا برزت مشاهد القصة ، ولكن مما لا شك فيه أن قوة إبراز العواطف والانفعالات هي الغالبة ، وأن هذا اللون هو الذي يطبعها ، ويغلب على الألوان الأخرى .

(٣) ولون يبدو في رسم الشخصيات في القصة وإبرازها : وأمثلة هذا اللون هي القصص القرآني كله ، فتلك سمة ظاهرة فيه ، وهي سمة فنية محضة ، وهي بذاتها عرض للقصص الفني الطليق ، وها هو القصص القرآني ووجهته الأولى هي الدعوة الدينية ، يلم في الطريق بهذه السمة أيضاً فتبرز في قصصه جميعاً،ويرسم بضع نماذج إنسانية من شخصياته تتجاوز حدود الشخصية المعنية إلى الشخصية النموذجية ، مثل : شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فهو نموذج الهدوء ، والتسامح ، والحلم ، وشخصية يوسف عليه السلام ، فهو نموذج الرجل الواعي الحصيف العفيف ، وشخصية آدم عليه السلام ، فهو نموذج للإنسان بكل مقوماته وخصائصه، ومن أظهرها الضعف البشري الذي يشمل كل نواحي الضعف الأخرى "[١] .

(٦) مراعاة الجانب التربوي

القصص القرآني يساق لأهداف تربوية ، وقيم أخلاقية ، ومعان إنسانية ، فهو يخلق القيم ، وينشئ المعاني الصحيحة ، ويهذب الأخلاق الذميمة ، ويقوم العواطف المنحرفة ، ويوجه إلى خير الدنيا والآخرة ، فهو إذاً لم يأت عبثاً ، ولم يسق اعتباطاً ، إنما جاء حاملاً أثراً فعالاً للتقويم والتوجيه والتهذيب والتعليم والإصلاح والتربية للإنسان خلقياً ووجدانياً وعقلياً وروحياً وجسمياً .

والقرآن الكريم اهتم بالوسائل التربوية المختلفة التي لها دور فعال في غرس القيم وتأسيس المناهج ، وهذه الوسائل هي: التربية بالقدوة وبالموعظة، وبالعقوبة ، وبالقصة ، وبالعادة ، وبالأحداث [١] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٠ . ١٩٣ بتصرف .

(١) باختصار من منهج التربية الإسلامية للأستاذ / محمد قطب ١ / ١٨٠ ، دار الشروق.

والتربية عن طريق القصة ، وسيلة اهتم بها القران كثيراً ، فقد ركز عليها من خلال قصصه المتنوعة، والتي تشغل حيزاً كبيراً في القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

(١) ذكر القرآن الكافرين بقصص أمثالهم من الأمم السابقة ، وبيَّن وفصَّل ما حدث لهم نتيجة ظلمهم وبغيهم ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٢] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: خبرهم ، والألف لمعنى التقرير والتحذير ، أي: ألم يسمعوا إهلاكنا الكفار من قبل : قوم نوح ... الخ .[٣]

(٢) وحذرهم عاقبة التكذيب والإعراض ـ صراحة ـ بأن سينالهم ما نال الأمم المكذبة من السابقين ، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[٤] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: " أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله، فإني أنذركم حلول نقم الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالرسل "[١] .

---

(٢) سورة التوبة الآية ٧٠ .

(٣) تفسير القرطبي ٥ / ٣٠٤١ .

(٤) سورة فصلت الآية ١٣ .

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٩٤ .

قال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ: " وهذا الإنذار المرهوب المخيف يناسب شناعة الجرم وقبح الذنب وتبجح المشركين وشذوذ الكافرين "[٢] .

(٣) أن القرآن الكريم ساق الأوامر والنواهي من خلال قصصه ، في أسلوب مشوق حكيم يهدي القلوب، ويرضي النفوس، ويقنع العقول وهذا منهج تربوي عظيم لتربية الفرد والمجتمع معاً.

يقول الدكتور عبده بلبول: " إن القرآن الكريم ساق الأوامر والنواهي من خلال القصة القرآنية، ومزجت التوجيهات الإلهية بالقصة ، وهذا المنهج يجعل لدى القلوب استعداداً لتقبل الأوامر والنواهي ، وذلك لأن القصة تميل إليها القلوب بالفطرة ، وعلام الغيوب يعلم أسرار النفوس وخبايا القلوب ، وفطرة الإنسان السليمة تقبل الخير العام إذا سيق إليها في أسلوب مشوق ، مدعم بالبراهين "[٣] .

(٤) أن الأنبياء والرسل كانت دعوتهم دعوى إصلاح للمجتمع كله بجميع أفراده ، دعوة إلى حسن التعامل وغرس القيم ، وتقويم السلوك ، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[٤] .

وجملة القول : أن القصص القرآني قصص تربوي يأتي للتربية والتقويم ، وتساق من خلاله الأوامر والنواهي ، وتمزج فيه التوجيهات الإلهية بالقصة القرآنية ، وهذه التوجيهات تأتي على ثلاث صور :

(١)فقد تكون فيه التوجيهات قبل القصة تصديقاً للأنباء ، كما في قوله تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ

(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣١١٦ .

(٣) القصص القرآني د / عبده بلبول ، ص ١٢٢ .

(٤) سورة هود من الآية ٨٨ .

ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [١] ثم تأتي بعد ذلك القصص التي تتحدث عن الرحمة والعذاب ، وهي قصة الملائكة مع سيدنا إبراهيم عليه السلام وقصة الملائكة مع سيدنا لوط عليه السلام .

(٢) وقد تكون التوجيهات عقب القصة أخذاً للعظة والعبرة ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ ... ﴾ [٢] ، وذلك بعد الحديث عن قصة نوح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب عليهم السلام.. وبعد الإشارة بذكر عاد .. وثمود ، وقارون ، وفرعون ، وهامان ، وهذا النوع كثير بالنسبة لما قبله ، فغالباً ما تختتم القصة بذكر العظة والعبرة منها .

(٣) وقد تكون التوجيهات في ثنايا القصة ، كما في قصة سليمان عليه السلام مع النملة والهدهد ، وبلقيس ، وهذا النوع غالباً ما تجده في معظم القصص التي كثيراً ما تحمل توجيهاتها في ثناياها مصرحاً بها أو مشاراً إليها .

(٧) بيان صور الأدب التي تحلى بها الرسل عليهم السلام

من خصائص القصص القرآني أنه يظهر صور الأدب المتعددة التي اتصف بها الرسل عليهم السلام، والرسل هم أفضل الخلق الذين تحلو بالأدب، واتصفوا بالفضائل ، وتخلقوا بمكارم الأخلاق مع الله ومع الناس، واتخذ أدبهم وأخلاقهم صوراً عديدة منها :

(١) الأدب مع الله : فهذا آدم عليه السلام يتوب ويستغفر من ذنبه ، ويعترف بمعصيته ويسأل ربه العفو والمغفرة بأسلوب هو قمة في

---

(١) سورة الحجر الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٠ .

الأدب ، ونهاية في التلطف ، وغاية في التذلل والافتقار إلى الله تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١) .

وهذا نوح عليه السلام يستعيذ بالله ، ويتوب إليه ويسأله عفوه ورحمته ، بعد أن عاتبه ربه عندما طلب نجاة ابنه الكافر: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٢).

وهذا خليل الرحمن إبراهيم ينادي ربه في خضوع وتذلل، وقد ترك بعضاً من ذريته بواد غير ذي زرع عند البيت الحرام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣)،ويظهر من خلال دعائه استسلامه لأمر ربه، وتفويض أمره إليه، وطلبه أن يرزق ذريته في هذا المكان الموحش أفئدة من الناس تهوي إليهم ، تحبهم وتعيش معهم ، وأن يرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرونه ويعبدونه، إلى غير ذلك من مواقف الأنبياء التي يظهر فيها مدى أدبهم مع الله ، وسرعة التوبة والإنابة ، وطلب العفو والمغفرة ، والتأدب في الخطاب والأسلوب، وما من نبي من الأنبياء إلا وله في قصص القرآن موقف، أو مواقف يظهر من خلالها مدى أدبه وأخلاقه وحسن تعامله مع الله .

(٢) الأدب مع الأقارب : فهذا إبراهيم عليه السلام يتحلى بأعظم الأخلاق ، وأفضل ألوان الأدب مع أبيه، حين دعاه إلى الإيمان بالله بأسلوب فيه

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

(٢) سورة هود الآية ٤٧ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

الأدب، والرحمة، والحنان ، والعاطفة القوية ، فكان في كل مرة يكرر له النداء بقوله : ﴿ يا أبت ﴾ ، وهذا النداء فيه من الأدب ما فيه ، ومن عاطفة البنوة ما فيه، ولكن أباه أعرض عنه وأغلظ له في القول : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[1] ، وهنا يتحلى خليل الرحمن بالأدب فيقول له في رفق ولين : ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[2] .

وهذا يوسف عليه السلام يتحلى بأفضل الأخلاق ،ويمثل قمة العفو والصفح تجاه إخوته بعد ظلمهم له وفعلهم به ما فعلوا ، نجده في نهاية الأمر يقول لهم في صفح وعفو: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [3] وكان ذلك بعد اعترافهم بخطئهم وإعلانهم توبتهم .

وهذا هارون عليه السلام يتحلى بالأدب ، ويتخلق بالحلم وضبط النفس تجاه أخيه موسى عليه السلام بعد أن أخذ بلحيته يجره إليه ، وهو أصغر منه سناً ، وكان ذلك بسبب عبادة بني إسرائيل العجل عندما ذهب لملاقاة ربه ، واستخلافه لأخيه هارون عليهم ، نجد هارون عليه السلام يقول لموسى في حلم وأناة: ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [1] ،

وتأمل قوله : (ابْنَ أُمَّ) في مستهل جوابه ، وما يحمل من أدب وتذكير بعاطفة الأخوة التي بينهما ، وقف عنه ما شاء الله لك أن تقف .

---

(١) سورة مريم الآية ٤٦ .

(٢) سورة مريم الآية ٤٧ .

(٣) سورة يوسف الآية ٩٢ .

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٠ .

(٣) الأدب تجاه الأقوام : فقد تحلى الأنبياء جميعاً بالأدب مع أقوامهم ، وبالأخلاق الفاضلة من خلال دعوتهم لمن أرسلوا إليهم ، يظهر ذلك واضحاً من خلال مناقشاتهم ومجادلاتهم بالتي هي أحسن لأقوامهم ، وحرصهم على إيمانهم ، وما خلت دعوة نبي من قوله لمن أرسل إليهم (يا قوم) بإضافتهم إلى نفسه ، وفي العبارة ما فيها من العاطفة القوية، والرحمة المتأصلة ، والحنان الجياش ، والأدب الجم .

(٨) التركيز على جانب الدعوة

ركز القصص القرآني كثيراً على جانب الدعوة ، وكانت القصة القرآنية دائماً وسيلة من وسائل تبليغها ، وذلك لما للقصة من تأثير في النفس ، وهيمنة على القلب، وسيطرة على الوجدان ، وفاعلية في العقل ، فالقلوب تخفق لها ، وجوانب الإنسان تهتز من أجلها ، وتسيطر على العقل والذهن حتى أنها تدفع الإنسان إلى عدم التفكير إلا فيها ، والتدبر إلا في أحداثها ووقائعها ، فهي تملك على الإنسان فكره ، وقلبه وعواطفه ، ووجدانه ، لقد أدرك القرآن هذا الأثر للقصة ، فاستغلها لتكون وسيلة من وسائله في تبليغ دعوته ، وإيصالها إلى الناس في هذا الثوب المشوق الأخاذ ، وهذا القالب المحبب الجذاب .

ويلاحظ: أن القصة البشرية لها تأثير على الأمراض النفسية بأنواعها المختلفة : كالقلق ، والخوف ، والاضطرابات النفسية ، وما ينشأ عنها من اضطرابات جسمية ، وذلك لما لها من أثر في النفوس والقلوب ، والعقول ، فكيف لا يكون للقصص القرآني تأثير أكبر وأعمق ؟ .

إن القرآن خبير بأمراض القلوب ، ونوازع النفوس ، وتحجر العقول ، من هنا دخل إلى الإنسان عن طريق القصة ليشفي قلبه، ويرضي نفسه، ويقنع عقله ، فيهتدي إلى الصراط المستقيم ، ومما ورد من أخبار تدل على مدى
تأثير القصة في النفوس ما يلي :

(١) روي أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ استراح لسماعه سورة طه ، وكان ذلك سبباً لهدايته ودخوله الإسلام . [١]

(٢) وأن "النجاشي[٢] ﷺ بكى عند سماعه سورة مريم حتى اخضلت [٣] لحيته وكذا أساقفته . [٤]

(٣) وأن النفوس الحزينة يزول حزنها عند سماعها سورة يوسف عليه السلام [١]

(٤) وأن "أهل البلاء يزداد صبرهم عند سماعهم قصة أيوب عليه السلام . [٢]

(٥) أن " الصحابة ﷺ كانوا يهتمون بقصص القرآن اهتماماً كبيراً ، ويعنون به عناية عظيمة ، وذلك لأثره في النفوس ، وموقعه

---

(١) القصة ضعيفة سنداً ، وفي متنها اضطراب ، فبعض الروايات أن السورة التي قرأها عمر كانت طه ، وفي البعض الآخر أنها كانت سورة الحديد ، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه : باب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ ولم يذكر شيئاً من الروايات عن قصة إسلامه ﷺ (صحيح البخاري ١٣ / ١٩١ ، ولضعف أسانيدها فقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الفتاوي بصيغة التضعيف فقال : " وقد رُوي أن سورة طه كانت مكتوبة عند أخت عمر ، وأن سبب إسلام عمر كان لما بلغه إسلام أخته ، وكانت السورة تقرأ عندها" (الفتاوي ١٥ ، ٢٥٥) . وسكت عن القصة الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في تعليقه على (فقه السيرة) فلم يتكلم عنها بتصحيح ولا تضعيف . وقال الدكتور/ أكرم العمري: " أما قصة استماعه القرآن يتلوه الرسول ﷺ في صلاته قرب الكعبة وعمر مستخف بأستارها، وكذلك قصته مع أخته فاطمة حين لطمها لإسلامها وضرب زوجها سعيد بن زيد ، ثم اطلاعه على صحيفة فيها آيات ، وإسلامه ، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طريق صحيح ". (السيرة الصحيحة ، ١ / ١٨٠) .

(٢) هو أصمحة " ملك الحبشة " ﷺ، والنجاشي لقب له ، معدود في الصحابة، أسلم ولم يهاجر ، وليست له رؤية ، فهو تابعي من وجه ، وصحابي من وجه ، أحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه ، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة ، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب بالناس (أسد الغابة ١ / ١١٩) .

(٣) أي ابتل شعرها بدموع عينيه (المعجم الوجيز ، ص ٢٠١) .

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٣) ، ومختصر سيرة ابن هشام (١ / ٢١٤) ، والأساقفة جمع أسقف وهو الرئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران (المعجم الوجيز ص ٣١٤)

(١) قال عطاء ﷺ: " لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها " تفسير الخازن ٢٦١/٣ ، ط الحلبي ، وتفسير روح البيان للبروسوي ٤ / ٢٠٧ ، ط دار سعادات .

(٢) القصص القرآني ، د / بلبول ، ص ١١٧ .

في القلوب ، وسداده لميولهم الوجدانية ، وإشباعه لعواطفهم النفسية.

روى مالك - رحمه الله- في الموطأ أن "الفرافصة بن عمير الحنفي[٣] قال "ما أخذت سورة يوسف إلا من قراءة عثمان بن عفان [٤] إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها" [٥]، فكثرة قراءة سورة يوسف عليه السلام وترديدها من عثمان رضي الله عنه فيه دلالة على حبه لها وميله النفسي نحوها ، وهواه القلبي تجاهها .[٦]

(٩) إلقاء الضوء على الجانب المهم في القصة

القصة القرآنية تركز دائماً على الجانب المهم المراد إبرازه ، ومن ثم فهي تعرض بالقدر الذي يتفق مع الغرض الديني منها ، فمرة تعرض الحلقة من أول القصة، وتارة تعرض الحلقة من آخرها، وأحياناً تعرض القصة كاملة وأحياناً يعرض بعض حلقاتها ، فمثلاً : قصة عيسى عليه السلام تبدأ بمولده وبتفصيل كامل ، لأن مولده هو المعجزة الكبرى في حياته ، وحول هذا المولد قام الجدل ، وقصة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام تبرز فيها حلقة هامة ، فترسل الأضواء الكاشفة على البشارة بمولدهما ، لأن في هذا المولد عبرة ، فإسماعيل رزق به إبراهيم عليه السلام على الكبر ، وإسحاق بشر به وامرأته عجوز عقيم ، وهو قد تقدم به العمر ، وقصة إبراهيم عليه السلام

---

(٣) الفُرافصة : (بضم الفاء ثم راء فألف ففاء فصاد مهملة) بن عمير الحنفي المدني التابعي روى عنه عمر وعثمان والزبير، وثقة العجلي وابن حبان، وقد وافق اسمه اسم زوجة عثمان التي كانت تحته حين قتل وهي نائلة ابنة الفرافصة بن الأحوص الكلبية (شرح موطأ مالك للزرقاني ١ / ٢٥٣)

(٤ هو عثمان بن عفان الأموي القرشي الصحابي الجليل ، ثالث الخلفاء الراشدين تزوج بابنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم ، فلقب بذي النورين ، له مواقف مشهودة ، وكان كريماً سخياً وصولاً للرحم ، عابداً قانتاً ، مات شهيداً سنة ٣٥ هـ (أسد الغابة ٣ / ٥٨٤) .

(٥) موطأ مالك برواية القعنبي ،كتاب الصلاة ، باب القراءة في صلاة الصبح ، ص ١٤٣ رقم الحديث ١١٩ ، ط . دار الغرب الإسلامي .

(٦) قال الزرقاني في شرحه على الموطأ قوله : يرددها أي يكررها ، يحتمل ذلك لحديث "إيذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه " وسورة يوسف فيها البلوى (شرح موطأ مالك للزرقاني ١ / ٢٥٣) .

تعرض حلقة صباه ، فتوته ، ولا تتحدث عن مولده ، ولا عن طفولته لأن هذه الحلقة وما بعدها هو المهم في القصة .

وهناك قصص لا يعرض منها إلا الحلقة الأخيرة كقصة هود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط عليهم السلام ، فقصصهم جميعاً لا يعرض منها إلا حلقة الرسالة ، والإنجاء والإهلاك ، وذلك لأن هذه الحلقة هي المهمة في القصة ، ولذا ركز عليها القرآن الكريم . [١]

(١٠) التكـــرار

التكرار خاصية من خصائص القصص القرآني ، وهو في أصل وضعه عبارة عن الإتيان بالشيء مرة بعد أخرى [٢] غير أن التكرار في القصص القرآني يأخذ معنى مختلفاً ، فهو يكرر جانباً من القصة بحلقة جديدة وصورة تخالف الصورة السابقة ، وإن كانت تشبهها ، وفي كل موضع كررت فيه القصة ، يخرج بمعنى جديد لا يمكن أن يستفيده من الموضع الأول الذي ذكرت فيه القصة أولاً .

يقول الأستاذ محمد قطب: " تجدر الإشارة إلى أن القرآن ليس فيه تكرار بالمعنى المفهوم من اللفظ ، إنما هو تنويع في القصة بحلقة جديدة ومعنى جديد وهذه ظاهرة تستحق النظر من حيث هي جمال فني في التعبير ، ومن حيث هي لون من التأثير الوجداني فريد "[١] .

والتكرار بهذه الصورة أسلوب من أساليب الفصاحة ، وقد غلط من أنكر كونه من أساليبها ظناً منه أنه لا فائدة له ، وليس الأمر كما ظن ، بل التكرار من محاسن الفصاحة ، إذا تعلق بعضه ببعض ، لأن من عادة العرب في خطاباتها التكرار توكيداً .

وقد ذكر العلماء للتكرار في القصص القرآني فوائد متعددة منها :

---

(١) القصة في القرآن د / محمود بن الشريف ، ص ٧٧ بتصرف .

(٢) التعريفات : الجرجاني ، ص ٥٨ .

(١) دراسات قرآنية للأستاذ / محمد قطب ، ص ٢٤٦ ، ط . دار الشروق .

(١) أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله ، فهو يعرض حلقة جديدة من القصة بنمط فيه بعض المغايرة ، وعادة ما يبدل كلمة بأخرى لنكتةٍ ، وهذه عادة البلغاء ، فإنهم يكررون في آخر خطبهم كلمات لصفات زائدة عما تقدم .

(٢) بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب ، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .

(٣) قوة الإعجاز ، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة ـ مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها ـ أبلغ في التحدي ، وقد كررت القصص دفعاً لحجة العرب من كل وجه ، فإن الله لما تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله ـ فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفى بها ـ لقالت العرب: ائتونا أنتم بسورة من مثله، فكررها سبحانه دفعاً لحجتهم .

(٤) التكرار من أبلغ صور التأكيد ، ولذا كررت القصص اهتماماً بشأنها لتتمكن عبرها ومواعظها في النفس البشرية ، والقصة الواحدة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

(٥) في التكرار تسلية وتثبيت لقلب النبي ﷺ عما يلاقيه من أذى قومه ، فقد وقع للأنبياء قبله ما وقع له ، وكذا تسلية وتثبيت للمؤمنين ، فقد أصاب المؤمنين قبلهم مثل ما أصابهم فصبروا وصابروا .

(٦) اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في المقام ، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال .

(٧) أن الدواعي لا تتوافر على نقل القصص ، كتوافرها على نقل الأحكام ، فلذا كررت القصص دون الأحكام [١].

وجملة القول :

أن التكرار في القصص القرآني خاصية عظيمة يأتي لفوائد كثيرة، والتكرار فيه له مفهومه الخاص ، فهو لا يقف عند تكرار الألفاظ ، وإعادة الكلمات ، بل يتعدى ذلك إلى الإتيان بمعان جديدة ، ونمط مغاير وألفاظ فيها بعض الاختلاف ، كل ذلك يصاغ بأسلوب يتمايز عن الأسلوب الآخر ، وفي قالب غير القالب الأول ، مما يخلق عند المرء إحساساً بأن الصورة مختلفة ، وأنه أمام قصة جديدة ، وخاصية التكرار لا توجد في قصص سوى قصص القرآن الكريم ، وذلك لأن القاص إن أعاد كلامه بنصه ، وحلقاته بنفسها ، كان ذلك تكراراً معيباً لا فائدة فيه يمله القارئ ، ويسأم منه السامع ، وإن أراد تكراراً كتكرار القرآن الكريم ، فلن يستطيع ذلك حتى يلج الجمل في سم الخياط ، والله أعلم .

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ٣ / ٢٦ بتصرف ، دار المعرفة ، بيروت ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ٣ / ١٨٤ ،(بتصرف) ط . دار الفكر ، بيروت ، مباحث في علوم القرآن للشيخ / مناع القطان (بتصرف) ، ص ٣٠٨ ، ط . مؤسسة الرسالة ببيروت .

المبحث الثالث

(أهداف ومقاصد القصص القرآني)

للقصص القرآني أهداف سامية ، ومقاصد عظيمة ، وغايات نبيلة ، فهو لم يأت عبثاً ، ولم يسق سُدى ، ولم يقص لمجرد التسلية والترفيه عن النفس ، إنما يصاغ لأهداف ركز عليها القرآن واهتم بها فساقها من خلال القصص لما له من تأثير في النفوس ، وامتلاك للقلوب ، وجذب للمشاعر والأحاسيس .

وأهداف ومقاصد القصص القرآني كثيرة ومتنوعة ، أذكر منها ما يأتي :

(١) بيان صدق الوحي الإلهيِّ

يبين القصص القرآني صدق الوحي الإلهي ، ويظهره جلياً ، ويؤكد ذلك في عديد من آياته، فكثيراً ما كانت تختتم قصص القرآن بأنه من أنباء الغيب ، التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي ، فلا دخل لأحد فيها قبل إنزالها رسولاً كان أو ملكاً ، ولا علم للرسول ﷺ ولا لقومه بها ، وهذا يدل على أن القرآن صادق في وحيه، قال سبحانه بعد أن قص قصة نوح عليه السلام: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١) .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ : هذه القصة وأشباهها من أخبار الغيوب السابقة، نوحيها إليك على وجهها، كأنك شاهدها ، ونعلمك بها ، ولم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها " (٢) .

وقال الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ : " فإن قيل : أليس قد كانت قصة طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند أهل العلم ؟ قلنا: تلك القصة

---

(١) سورة هود الآية ٤٩ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢ / ٤٥٩ .

بحسب الإجمال كانت مشهورة، أما التفاصيل المذكورة فما كانت معلومة" [١].

وقال تعالى في نهاية قصة يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [٢] .

قال العلامة أبو السعود ـ رحمه الله ـ : قوله ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ يريد أخوة يوسف حين أجمعوا أمرهم على جعله في غيابة الجب ، وهم يمكرون به ، ويبغون له الغوائل ، وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه الصلاة والسلام في مشهد إجماعهم ، ومكرهم فقط ، بل في سائر المشاهد أيضاً ، وإنما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة وأخفى أحوالها " [٣] .

وقال سبحانه في قصة مريم : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [٤].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة عما جرى ، بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها ؟ وذلك لرغبتهم في الأجر " .[١]

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ١٨ / ٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ٣ / ١٤١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٤٤ .

(١) تفسير ابن كثير : ١ / ٣٦٣ .

ففي الآيات السابقة ـ وغيرها كثير ـ بيان لصدق الوحي الإلهي، فإن النبي ﷺ قص على قومه من أخبار السابقين قصصاً مفصلة وموضحة وهو لم يكن كاتباً ، ولا قارئاً ، ولم يعلمه أحد ، ولا علم عنده بهذه القصص من قبل ، فمن أين إذن تعلمها ؟ إنه تعلمها من القرآن الكريم ، وهذا يدل على صدق الوحي الإلهي المنزل عليه .

قال الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ : " إن القصص القرآني دال على نبوة محمد ﷺ لأنه عليه السلام كان أمياً ، وما طالع كتاباً ، ولا تتلمذ على أستاذ ، فإذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على أنه إنما عرفها بالوحي من الله ، وذلك يدل على صحة نبوته "[٢] .

***

(٢) بيان أن دعوة الرسل جميعاً واحدة

من أهداف القصص القرآني بيان أن دعوة الرسل عليهم السلام واحدة في غايتها ، وأن رسالتهم متفقة في أصولها ، فقد جاء الرسل جميعاً بكلمة واحدة وهي: لا إله إلا الله . وبقضية واحدة وهي : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

واهتمام القرآن بهذا الهدف يبدو ظاهر الوضوح من خلال السرد القرآني، والتتبع للآيات ،

يقول الأستاذ محمد قطب: "إن القرآن الكريم اتخذ لهذا الهدف وسائل شتى:

(١) فتارة يوحد له الأسلوب بحيث تجيئ العبارة موحدة يقولها كل رسول لقومه، مثل ما قاله نوح، وهود ، وصالح ، وشعيب عليهم السلام لأقوامهم ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ

(٢) تفسير الفخر الرازي : ١٤ / ١٥٢ .

غَيْرُهُۥ ﴾ [١] فهذه العبارة كانت هي أول شيء يقوله كل رسول منهم لقومه .

(٢) ومرة يقال عن قوم معينين إنهم كذبوا الرسل مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسول واحد ، ليوحي التعبير بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب الرسل جميعاً ؛ لأن الرسل جميعاً يقولون ذلك الشيء ، قال سبحانه عن قوم نوح ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٢] مع أنهم لم يرسل إليهم إلا نوح عليه السلام ، ومثله ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [٣] مع أنهم لم يرسل إليهم إلا هود ، و ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [٤] مع أنهم لم يرسل إليهم إلا صالح .

(٣) وتارة يقال عن أقوام متعددين إنهم عصوا رسول ربهم، فيوحي التعبير أنه كأنما هو رسول واحد بعث إلى الأقوام جميعاً ، مثل قوله تعالى : ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [١] ، وذلك بعد الحديث عن عاد وثمود وفرعون والمؤتفكات ، والتعبير وإن كان يفهم منه أن كل فرقة من هؤلاء قد عصت رسولها ، فهو يوحي بأن الرسل كلهم الذين أرسلوا

---

(١) سورة الأعراف من الآيات (٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥)، وسورة هود من الآيات (٥٠ ، ٦١ ، ٨٤) .

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٧ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٢٣ .

(٤) سورة الشعراء الآية ١٤١ .

(١) سورة الحاقة الآية ١٠ .

إلى فرعون من قبله والمؤتفكات قد جمعوا في رسول واحد .[٢]

وهكذا نجد الهدف واضحاً وظاهراً يقوله كل رسول، وينطق به كل نبي ، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [٣].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : " أي قلنا للجميع : لا إله إلا الله ، فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له ، والنقل عن جميع الأنبياء موجود ، قال قتادة : لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة، والإنجيل ، والقرآن ، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد "[٤] .

(٣) إبراز موقف الأمم جميعاً من رسلها

يبين القصص القرآني أن موقف الأمم جميعاً من رسلها واحد ، وهو الإنكار والجحود للدعوة ، واتهام الرسول بالسحر والجنون ، وهذا الهدف موازي لوحدة دعوة الرسل ، فكما أن الرسل جاءوا جميعاً بكلمة واحدة ، وبقضية واحدة ، فكذلك الجاهليات كلها متشابهة ومتماثلة في ردها، وإنكارها، وإعراضها، وموقف الكفار دائماً موحد تجاه الرسل حيث ينكرون ، ويجحدون ويكذبون ، ويتهمون ، ويستهزئون .

لقد ذكر القرآن أن موقف السابقين من الرسل هو الاتهام بالسحر أو الجنون ، وكأنه موقف موحد وصى به الكافرون بعضهم بعضاً ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ

(٢) دراسات قرآنية للأستاذ / محمد قطب ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

(٤) تفسير القرطبي : ٧ / ٤٣٢

بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [١] ، إنه موقف موحد ، وقصة مكررة من ناحية التكذيب والإعراض ، لم تتخلف في التاريخ كله إلا مرة واحدة سجلها القرآن الكريم للعبرة ، حدثت مع قوم يونس عليه السلام ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [٢] ، والقرآن لم ينف موقف الإعراض الأول الذي كان من قوم يونس ، وإنما سجل فقط أنهم في النهاية آمنوا ، ولذا كشف الله عنهم ما هددوا به من عذاب الخزي في الحياة الدنيا.[٣]

وأظهر ما تشترك فيه الجاهليات تجاه رسلها ما يلي :

١ ـ التكذيب للرسول في كل ما جاء به من عند الله، والجحود ، والكفر به وبرسالته .
٢ ـ الإعراض عنه ، والنفور منه ، والفرار بعيداً عنه .
٣ ـ التشهير به ، واتهامه بأنه ساحر ، أو مجنون ، أو كذاب .
٤ ـ التهديد له وللمؤمنين معه بالأذى ، والعذاب ، والقتل .
٥ ـ تنفيذ ذلك العذاب والأذى والقتل بالرسول والمؤمنين ، أو الحيلولة دون ذلك بقدر الله تعالى .

(٤) ترهيب الكافرين

من أهداف القصص القرآني ترهيب الكافرين ببيان ما حدث لأمثالهم من الأمم الماضية من دمار ، واستئصال ، وأنهم إذا استمروا على ما هم عليه من عناد واستكبار وإيثار للحياة الدنيا ،

---

(١) سورة الذاريات الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٨ .

(٣) دراسات قرآنية ، ص ١٠٥ (بتصرف) .

فستكون عاقبة هؤلاء كعاقبة أولئك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " أي : فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال ، والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر الله لهم من العذاب الأليم في الآخرة " (٢) .

لقد قص القرآن في قصصه كيف كان انتقام الله من الكافرين بعد إقامة الحجة عليهم ، ولم يكتف القرآن بمجرد الإخبار عن إهلاكهم ، وإنما فصل نوعية العذاب ، وكيفية الإهلاك، ومدى الرعب والفزع الذي حل بالكافرين عند حلول العاقبة بهم ، فصور مواقف ومشاهد العذاب ، وكأننا نراها الآن رأي العين ، وفي كل ذلك تخويف وترهيب للكافرين من أمة محمد ﷺ .

قال الفخر الرازي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣) .

"ذكر الله في هذه الآية طوائف ستة ، فأولهم قوم نوح ، والله أهلكهم بالغرق، وثانيهم عاد، والله أهلكهم بإرسال الريح العقيم عليهم ، وثالثهم ثمود ، والله أهلكهم بإرسال الصيحة والصاعقة ، ورابعهم قوم إبراهيم ، والله أهلكهم بسلب النعمة عنهم ، وبما روي في الأخبار : أنه سلط البعوضة على دماغ النمرود، وخامسهم قوم

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢ / ١٢٧ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧٠ .

شعيب ، والله أهلكهم بعذاب يوم الظلة ، وسادسهم المؤتفكات قوم لوط ، والله أهلكهم بأن جعل عالي أرضهم سافلها " . (١)

وهكذا تجد في قصص القرآن التخويف والإنذار مقترناً بما حدث للكافرين من قبل ، وصدق الله حيث يقول: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ (٢) ، وهذه الآية جاءت عقب الحديث عن قصة نوح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام ، وبعد الإشارة بذكر عاد ، وثمود وقارون ، وفرعون ، وهامان ، فكان لها أبلغ الأثر في معرفة ما آلوا إليه ، وما نزل بهم من عذاب ، وما حل بهم من عقاب ، وفي ذلك ما فيه من ترهيب الكافرين وتخويف المكذبين من أمة محمد ﷺ .

وتأمل أخيراً قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (٣) وما يحمل في طياته من إنذار وتهديد وقف عنده ما شاء الله لك أن تقف .

***

(٥) بيان نعم الله على رسله وأوليائه

في القصص القرآني بيان لنعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى ، على رسله ، وأوليائه، وهذا الهدف نلمسه كثيراً، ونراه مراراً ، ونشاهده تكراراً في آيات القرآن الكريم .

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٨ / ١٣٢ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٠ .

(٣) سورة فصلت الآية ١٣ .

ففي جانب الأنبياء والرسل كانت نعم الله عليهم عظيمة، وآلاؤه جسيمة ، يظهر ذلك من خلال اصطفائهم على سائر البشر بالنبوة ، والرسالة وهدايتهم بالوحي والكتب المنزلة ، كما قال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ (١) .

قال الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ : " قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى الذين مضى ذكرهم قبل ذلك ، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله من قبل ، ثم ذكر أنه آتاهم الكتاب والحكم والنبوة ، وهذه الألفاظ الثلاثة لها معان مختلفة لأن العطف يوجب المغايرة ، فالكتاب : إشارة إلى أنه تعالى أعطاهم العلم الكثير ، والحكم : إشارة إلى أنه تعالى جعلهم حكاماً على الناس نافذي الحكم فيهم ، والنبوة : وهي الدرجة العالية الرفيعة الشريفة التي تفرع على حصولها حصول المرتبتين المتقدمتين ، واعلم أن قوله : ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه الابتداء بالوحي والتنزيل ، كما في صحف إبراهيم وتوراة موسى ٠٠٠ الخ ، ويحتمل أن يكون المراد : أن يؤتيه الله فهماً تاماً لما في الكتاب ، وعلماً محيطاً بحقائقه وأسراره ، وهذا هو الأولى ؛ لأن الأنبياء الثمانية عشر المذكورين ما أنزل الله على كل واحد منهم كتاباً إلاهياً على التعيين والتخصيص " (٢) .

وفي جانب أولياء الله تعالى من المؤمنين : كانت نعم الله عليهم بهدايتهم ، والتمكين لهم في الأرض، وسعة أرزاقهم، وكثرة أموالهم وأولادهم في الدنيا ، ورضاه عنهم وإسعادهم في العقبى ، قال سبحانه على لسان نبيه نوح عليه السلام ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا

(١) سورة الأنعام من الآية ٨٩ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٧ / ٧٢ .

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (١) .

وتأمل نعم الله في حق العبد الصالح الذي تعلم منه موسى عليه السلام : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٢) ، وفي حق ذي القرنين : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ (٣) ، وفي حق مريم عليها السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤) ، تجد نعم الله متنوعة ، ومتعددة ، وظاهرة ، وواضحة ، واستحق هؤلاء الأشخاص هذه النعم بسبب إيمانهم وجهادهم ، وإخلاصهم لله رب العالمين .

(٦) أخذ العبرة والعظة

من أهداف القصص القرآني الاعتبار بأحوال السابقين ، والاتعاظ بما حدث لهم، والتدبر فيما آل إليه حالهم، والتأمل في أحداثهم وقصصهم حتى يخرج الإنسان بالعظة مما فعل بهم ، والعبرة مما وقع لهم ، والذكرى مما عوقبوا به ، ومعرفة أن الكافرين من أمة محمد ﷺ ليسوا بأفضل من سابقيهم ، إذا ساروا على سيرتهم، ونهجوا نهجهم، فستكون عاقبتهم كعاقبة من سبقوهم ، قال تعالى :

---

(١) سورة نوح الآيات ١٠ ـ ١٢ .

(٢) سورة الكهف الآية ٦٥ .

(٣) سورة الكهف الآية ٨٤ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٤٢ .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١).

قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : "أي ما سنه الله في الأمم المكذبة من وقائعه، وفي ذلك حث للمخاطبين على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم ، والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم "(٢).

وليست العبرة والعظة مقصورة على الكافرين ، بل هي تشمل كل من كان له قلب يتذكر به ، ويتعظ من خلاله ، فالمؤمنون هم أفضل من يتعظ ويعتبر، ويتذكر، ولذا فقد قال سبحانه عقب الآية السابقة: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

قال الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ : " في تخصيص هذا البيان والهدى والموعظة للمتقين دليل على أنهم هم المنتفعون به ، فكانت هذه الأشياء في حق غيرهم كالمعدومة "(٤) .

والعبرة والعظة في القصص القرآني تأخذ صوراً متعددة منها :

(١) الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأنبياء والرسل عليهم السلام ، كيف صبروا وصابروا، وبلغوا رسالة الله ومدى تحملهم لأذى قومهم الحسي والمعنوي، حتى جاء نصر الله بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين، وبجانب ذلك كانت كل قصة من قصص الأنبياء تحمل عظات وعبراً أخرى ، فمثلاً : قصة إبراهيم عليه السلام يتمثل فيها الحلم ، والأناة ، والسكينة والوقار ، والاستسلام لأمر الله ، والانقياد له ٠٠٠الخ ، وقصة يوسف عليه السلام يتمثل فيها : الصبر على أذى أقرب الناس ، والعفة أمام الشهوات ، وقوة التحمل والثبات أمام الشدائد، والأمانة عند تحمل المسئولية ، والعدل بين الناس ، والعفو والصفح عن الأخوة .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٧ .

(٢) تفسير الزمخشري : ١ / ٣٦٧ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٨ .

(٤) تفسير الفخر الرازي ٥ / ١٤ .

(٢) الاعتبار والاتعاظ بأحوال المؤمنين ، وكيف تحملوا الأذى والعذاب والاضطهاد في سبيل إيمانهم ؟ وكيف واجهوا قومهم بقول الحق ،
واتباع الصدق ، مع قلتهم وضعفهم المادي والجسدي والعددي؟.
(٣) الاعتبار والاتعاظ من أحوال الكافرين، وما كان منهم من تكذيب وإنكار ، وجحود واستكبار ، وكيف أقام الأنبياء عليهم الحجة ، وأتوهم بالمعجزة ؟ إلى أن حل بهم العذاب الأليم ، الذي فصله القرآن الكريم تفصيلاً ، ووضحه توضيحاً .

نعم: إن في القصص القرآني لعبراً وعظات، يعتبر بها أولوا الألباب ويتعظ بها أولوا البصائر النيرة ، والأفهام السليمة ، وصدق الله حيث يقول عقب قصة يوسف عليه السلام : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

هكذا بلام القسم، و "قد" التحقيقية، و "كان" الأزلية ، و "لام" التوكيد أي : والله لقد كان في قصة يوسف ، وأبيه وإخوته ، أو في قصص الأنبياء وأممهم عبرة ، أي : فكرة ، وتذكرة ، وعظة لأولي الألباب ، أي: أولي العقول "(٢) .

(٧) تثبيت قلب النبي ﷺ والتسرية عنه وعن المؤمنين

من الأهداف والمقاصد التي سيق من أجلها القصص القرآني تثبيت قلب النبي ﷺ والتسرية عنه وعن المؤمنين عما يلاقونه من أذى قومهم، وما يجدونه من تعنتهم ، وما يقاسونه من ظلمهم ، وما يواجهونه من عتوهم واستكبارهم،فقد كذب الرسل من قبل، وأعرض عنهم، واستهزئ بهم ، واتهموا بالسحر والجنون وقول الشعر ،

---

(١) سورة يوسف الآية ١١١ .

(٢) باختصار من تفسير القرطبي ٥ / ٣٠٥٦ ، وتفسير أبي السعود ٣ / ١٤٣ .

وأوذوا هم والذين آمنوا معهم، وتعرضوا للبلاء والمحن والتعذيب، فصبروا حتى جاء نصر الله.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ووعد له بالنصر كما نصروا ، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم التكذيب والأذى البليغ من قومهم ، ثم جاءهم النصر في الدنيا ، كما أن لهم النصر في الآخرة ، ولهذا قال : ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ﴾ ، أي : التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين ، ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، أي : من خبرهم كيف نصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم ، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة " (٢) .

وفي جانب التثبيت للنبي ﷺ يقول سبحانه في نهاية ذكر قصص الأنبياء في سورة هود ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ (١).

قال الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ : " لما ذكر سبحانه القصص الكثيرة في هذه السورة أخبر أن من فوائد ذلك تثبيت النبي ﷺ على أداء الرسالة ، وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك لأن الإنسان إذا ابتلي بمحنة وبلية فرأى أن له فيها مشاركاً خف ذلك على قلبه كما يقال : المصيبة إذا عمت خفت ، فإذا سمع الرسول ﷺ هذه القصص،

---

(١) سورة الأنعام الآية ٣٤ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢ / ١٣٣ .

(١) سورة هود من الآية ١٢٠ .

وعلم أن حال جميع الأنبياء عليهم السلام مع أتباعهم هكذا، سهل عليه تحمل الأذى من قومه، وأمكنه الصبر عليه" [٢].

وتجد التسلية والتسرية عن النبي ﷺ بعد أن اتهمته قريش بالسحر والجنون في قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [٣] .

والمقصود من الآية التخفيف عن النبي ﷺ عما أصابه ونزل به ، فذكر الله له أنه قد أصاب الرسل قبله ما قد أصابه ، واتهموهم بالسحر مرة ، وبالجنون أخرى، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ ، والضمير للقول أي : أتواصى الأولون والآخرون أن يقولوا لكل رسول : ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ ، حتى قالوه جميعاً ؟ ، ثم حكم بأنهم لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد ، بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان ، فلذا تشابهت قلوبهم . [١]

وفي جانب تثبيت المؤمنين والتسرية عنهم: تجد قوله تعالى مخبراً عن حال المؤمنين من قبل: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [٢] ، والتثبيت للمؤمنين والتسرية عنهم في الآيتين واضح، لأن المؤمنين

---

(٢) تفسير الفخر الرازي ٩ / ٨١ .

(٣) سورة الذاريات الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .

(١) تفسير الزمخشري ٤ / ٢٨٦ (بتصرف) .

(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٢٧ ، ١٢٨ .

قبلهم قد أوذوا ، وعذبوا ، وقتل أبناؤهم ، واستحيت نساؤهم ، وقهروا من عدوهم ، فصبروا حتى جاءهم النصر من عند الله .

(٨) الاهتمام بالجانب التربوي

مراعاة الجانب التربوي هدف قيم ، ومقصد عظيم ، من أهداف ومقاصد القصص القرآني ، وقد اهتم به القرآن الكريم اهتماماً بالغاً في قصصه، فرسم لنا الصور العديدة للنماذج الطيبة ، والشخصيات الفاضلة التي يجب الإقتداء بها ، والتأسي بمنهجها ، والحذو حذوها في مبادئها وقيمها ، كما أنه رسم لنا صوراً عديدة لنماذج غير طيبة ، وأناس غير صالحين ، وحذرنا بأسلوب التصريح مرة ، وبأسلوب التلميح أخرى من أن نقتدي بها، أو نسير سيرها ، أو نحذوا حذوها ، أو نتخلق بأخلاقها .

والأنبياء والرسل عليهم السلام كانت دعوتهم دعوة إصلاح وتوجيه وتعليم للمجتمع كله بجميع أفراده ، دعوة إلى حسن التعامل ، وغرس المناهج، وتأصيل القيم، وتقويم السلوك، وتهذيب النفس ، وتعليم العقل، وهداية القلب ، وصقل العواطف ، وتحسين الأخلاق ، وتجميل الطباع ، قال سبحانه على لسان خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ (١) .

وبهذا نجد أن غاية القصص القرآني تظهر في التركيز على جانب التربية للأفراد والجماعات ، وذلك لأن القصة يحبها الصغار والكبار ، والشباب والشيوخ ، والرجال والنساء ، فمن هنا كانت القصة القرآنية منبعاً خصباً ، وأرضاً طيبة ، ومكاناً مناسباً لتساق الأوامر والنواهي التربوية من خلالها، ولتكون وسيلة من وسائل القرآن لتحقيق أهدافه التعليمية والتوجيهية .

تأمل الجانب التربوي في قصة يوسف عليه السلام ، وهي قصة حافلة بثراء الجانب التربوي فيها ، وخذ مثلاً الجانب التربوي في

---

(١) سورة هود من الآية ٨٨ .

موقف يوسف عليه السلام عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه بعد أن هيأت السبل وأحكمت الحيلة ودبرت الوسيلة ، ووفرت سبل الإغراء كلها ، الحسية والمعنوية ، القولية والفعلية ، إنك تجد قمة العفة التي يجب أن يتربى عليها المسلم ، وأن يتخلق بها المؤمن ، وأن يتحلى بها المحسن : ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٢) ، إنها العفة في أبهى صورها ، وأجمل حللها ، وأفضل مواضعها ، وأقدس أماكنها ، إن جوابه عليه السلام على ما طلبت منه جاء قوياً من أعماق قلبه : ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ وهو جواب ينم عن إيمان ، ويشف عن إحسان ، ويبين مدى عمق تأصيل صفة العفة في نفسه ، كما أن تعليله لسبب الامتناع جاء شافياً كافياً فيه الكثير من الردع والزجر واللوم لهذه المرأة ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ﴾ تأمل ذلك كله ففيه من الخير الكثير .

(٩) إرضاء العقل والعاطفة

من أهداف القصص القرآني العظيمة ، ومقاصده الجليلة إرضاؤه للعقل والعاطفة، ومناجاته للُّب والوجدان ، ومخاطبته للقلب ، والمشاعر والفكر ، والأحاسيس ، وذلك لأن القرآن الكريم وهو يخاطب الإنسان راعى أنه يتكون من عقل يحتاج إلى الإقناع ، والدليل ، والحجة ، والبرهان ٠٠٠ الخ ، ومن عاطفة تحتاج إلى الحنان ، والرحمة والإثارة والأسلوب المشوق الفياض ، الذي يحركها ويهزها ٠٠٠الخ، فناجاهما معاً، وخاطبهما سوياً ، ونوع أسلوبه من أجلهما ، فأرضاهما ، وأقنعهما وأشبعهما ، ووفى لهما بما يحتاجان إليه .

---

(٢) سورة يوسف الآية ٢٣ .

وهذا ليس بالأمر الهين ، ولا بالخطب اليسير ، ولا يقدر عليه إلا أسلوب القرآن ، وليس لأحد القدرة على مراعاتهما معاً في آن واحد في خطابه وكلامه ، بل لابد أن يميل إلى أحدهما على حساب الآخر ، فإن مال إلى العقل فأقنعه وصف أسلوبه بأنه علمي بحت ، يؤخذ عليه أنه جاف جامد لا يحرك من العاطفة ساكناً ، ولا يوقف متحركاً ، وإن مال إلى العاطفة فأشبعها وصف أسلوبه بأنه عاطفي لين هش لا يقنع العقل ، ولا يرضي الحقائق العلمية ، وليست له أرضية صلبة يقف عليها .

والقرآن الكريم حينما يخاطب العقل والعاطفة ويرضيهما معاً ، ويشبعهما
في آن واحد ، هو بذلك يجمع بين الحق والجمال ، والقوة العلمية ، والراحة النفسية ، مما يجعل الإنسان يقدم على الفعل وهو مقتنع به عقلياً ، وراض عنه نفسياً .

وفي القصص القرآني مساحة واسعة ، لخطاب العقل، ومناجاة العاطفة ، فقد أقام القصص القرآني حواره على أسلوب مشوق متين ، أظهر من خلاله الأدلة العقلية ، والدلائل اليقينية ، والقوة العلمية التي تقنع العقل وتغذي الأفكار ، كما بين من خلاله خطرات النفوس ، وخفقات القلوب ، وميول الطباع ، في أسلوب مشوق يحرك العاطفة من جمودها ، ويثير النفوس من ثباتها ، وينبه الأحاسيس والمشاعر من غفلتها . (١)

❋❋❋

المبحث الرابع

مكانة القصة في القرآن الكريم

لا تجد كتاباً من الكتب، ولا سفراً من الأسفار اهتم واعتنى بالقصص مثل القرآن الكريم ، فإن للقصص فيه مكانة عالية، ومنزلة سامية، ودرجة رفيعة ، ومما يدل على عناية القرآن الكريم

(١) الجوانب العقلية والعاطفية في القصص القرآني ، د / أحمد حسين ، ص : ٢٩٧ .

بالقصص فيه تلك المساحة الواسعة التي احتلها القصص في القرآن الكريم ، والتي تقدر بنحو ربع القرآن الكريم ، أو ما يزيد قليلاً .

قال الفيروزآبادي - رحمه الله - : " ومن جملة آيات القرآن ألف وستمائة آية في قصص الأنبياء " [٢] ، وهذا القدر يزيد على ربع القرآن وذلك بدوره يدل على مكانة القصة ، ومدى عناية القرآن الكريم بها ، فما شغلت القصة هذه المساحة الشاسعة إلا لعناية القرآن الكريم بها ، واهتمامه بشأنها ، وعلمه بخطرها ، ومعرفته لتأثيرها ، فهي تغرس القيم ، وتنشئ المناهج ، وتكون المبادئ ، وتربي الأخلاق ، وتخاطب العقل ، وتناجي العاطفة ، وتهز النفوس ، وترضي القلوب ، وتحرك المشاعر ، وتثير الأحاسيس ، وتقرب المعاني ، وتضرب المثل بما كان في الأمم السابقة والأقوام الماضية ، فيتعظ الإنسان ، ويقتنع عقله وتتأثر عواطفه ، فيهتدي إلى الحق من أقرب طريق .

والقرآن الكريم حينما يربي أمته على القصص، ويخبرها بأحوال السابقين إنما يرشدها إلى الخير والنفع ، ويدلها على قيمة القصص ومنزلته خصوصاً إذا كان واقعياً ، والقصص في القرآن واقعي في أحداثه ، صادق في شخصياته ، حقيقي في حواره وأسلوبه، وزمانه ، ومكانه، وهدفه ، وتشويقه ، وهذه ميزة فضلته عما عداه ، وميزته عما سواه ، ورفعته فوق غيره، فإن في غيره من الكتب قصصاً ولكنها لا ترتفع إلى مكانته، ولا تسموا إلى منزلته ، ولا تصل إلى درجته في واقعيته وجماله وحسن صياغته ، وامتلاكه على الإنسان قلبه وعقله ، وفكره ووجدانه ، وذهنه ، وعاطفته ، ومن ثم اهتم القرآن الكريم بالقصص ، واعتنى بأخبار السابقين .

واهتمام القرآن الكريم بالقصص يرجع لعدة أسباب منها :

(١) أن القصص يحمل على التفكر والتدبر

---

(٢) بصائر ذوي التمييز ١ / ٥٦٠ ، وفيه أن عدد آي القرآن ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية عند أهل الكوفة ، وعند غيرهم في أقوال أخرى تنقص عن هذا العدد ١/٥٥٩.

من أسباب عناية القرآن بالقصص أنه يحمل على التفكر في أحوال السابقين ، والتدبر في أخبار الماضين ، لأخذ العظة والعبرة ، ومعرفة ما صاروا إليه بعد تكذيبهم وإنكارهم .

لقد أكد القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

قال الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ : " يريد فاقصص قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم لعلهم يتعظون " (٢) .

وقال العلامة أبو السعود ـ رحمه الله ـ : " أي إذا تحقق أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين ، فاقصصه عليهم حسبما أوحي إليك لعلهم يتفكرون ، فيقفون على جلية الحال ، وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال، ويعلمون أنك قد علمته من جهة الوحي، فيزدادون إيقاناً بك" (١) .

نعم : إن القصص القرآني يحمل على إعمال العقل ، ويؤدي إلى تشغيل الذهن ، في معرفة أحوال السابقين ، وما حل بهم من عذاب ، وما نالهم من عقاب نتيجة إعراضهم ، وكل ذلك يحمل الإنسان أن يفكر بجدية في أمر الدين ، ويتدبر فيما جاء به الرسول ، فيعمل عقله ، ويستعمل ذهنه، ويشغل فكره حتى يهتدي إلى الحق ويصبو إلى الإيمان.

(٢) أن القصص يسد فراغاً عاطفياً عند الإنسان

من أسباب عناية القرآن الكريم بالقصص ، أنه يسد فراغاً عاطفياً ، واحتياجاً نفسياً ، وفجوة وجدانية عند الإنسان ، فإن الإنسان بطبعه يميل إلى القصص ، ويهفو إليه قلبه ، وتحن إليه نفسه ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يمتلكهم ذلك الإحساس، ويسيطر عليهم ذلك الشعور، حتى أنهم طلبوا من النبي

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٥ ، ٦١ .

(١) تفسير أبي السعود ٢ / ٣٢٠ .

ﷺ أن يقص عليهم من أخبار السابقين بعد أن ملوا ملة احتاجوا فيها إلى ما يسري عنهم ويسد الفراغ الذي يعانون منه ويعالج الملل الذي أصابهم، وكان ذلك العلاج متمثلاً في القصص .

روى العلماء في سبب نزول سورة يوسف عليه السلام ، عن عون بن عبد الله [٢] رضي الله عنه قال: مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة ، فقالوا : يا رسول الله حدثنا ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [٣]، ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص ، فأنزل الله ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [١] ، فأرادا الحديث فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص " [٢] .

نعم : إن في قصة يوسف عليه السلام لعلاجاً نفسياً ،وإشباعاً وجدانياً ، فإن فيها
المواساة للنبي ﷺ وللمسلمين معه في محنتهم ، فالسورة نزلت في وقت عصيب اشتد فيه أذى المشركين للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين ، فملوا ملة احتاجوا فيها إلى ما يسري عنهم ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يقص عليهم طرفاً من أخبار الأولين ،وهو نبي أمي

---

(٢) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي الإمام القدوة الأديب ،كان عالماً فاضلاً ، توفى سنة بضع عشرة ومائة (سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٣) .

(٣) سورة الزمر من الآية ٢٣ .

(١) سورة يوسف الآيات ١ ـ ٣ .

(٢ الحديث بلفظه رواه الطبري في تفسيره ١٢ / ١٥٠، والواحدي في أسباب النزول، ص ٢٠٣ ، ط . عالم الكتب ، بيروت ، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤ / ٢٨٤ ، ط . دار الفكر ، ورواه بلفظ مقارب الحاكم في المستدرك في كتاب : التفسير ، باب : تفسير سورة يوسف عليه السلام ٢ /٣٤٥ ، عن سعد بن أبي وقاص ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

لم يجلس إلى معلم، ولم يأخذ عن قصاص ، فأنزل الله عليه هذه السورة لتكون له وللمسلمين أعظم سلوى ، ولكي تسد ذلك الفراغ الذي يعاني منه المسلمون .[٣]

وهكذا باقي القصص ، كان له نفس الأثر في سد الفراغ الوجداني، ومن ثم اهتم القرآن الكريم به، ونوع طريقة عرضه وأسلوبه ، وصورة نظمه وهيكله ، ما بين طويل ومتوسط وقصير ، وكل لون له تأثير أخيه وأهميته وقيمته .

(٣) أن القصص يكون سبباً للهداية والإيمان

من أسباب عناية القرآن الكريم بالقصص أنه يكون سبباً للهداية ، وحافزاً للإيمان ، ودليلاً على التوحيد ، ومن ثم اهتم به القرآن الكريم ؛ لأنه يفتح القلوب الغلف ، والأعين العمي ، والآذان الصم ، والعقول المتحجرة ، فيدلها على العلم والمعرفة ، ويرشدها إلى الخير والصلاح، ويؤثر في الوجدان فيجعله يذعن للإيمان ، ويستسلم لأوامر الدين ، مما ورد في الأثر :

(١) أن النجاشي بكى عند سماعه سورة مريم حتى اخضلت لحيته ، وكان ذلك سبباً لإسلامه .[١]

(٢) أن عمر بن الخطاب ﷺ استراح عند سماعه سورة طه وأسلم بعدها[٢]

وكل ذلك يدل على مكانة القصة ، ومدى تأثيرها وأهميتها لهداية الناس إلى الإيمان .

وجملة القول :

أن للقصة في القرآن الكريم أهمية ومنزلة لا تنكر ، فقد اهتم القرآن بها ، واعتنى بنظمها ، وأفرد لها مساحة واسعة تتبوأ فيها تقدر بنحو ربع القرآن ، وذلك لما للقصة من أهمية وتأثير على

---

(٣) كتاب لطائف البيان في سورة يوسف عليه السلام، للدكتور/ محمد بكر إسماعيل ، ص ٤ (بتصرف) .

(١) سبق تخريج الأثر .

(٢) سبق تخريج الأثر .

الناس ، وكونها سبباً للهداية وطريقاً للمعرفة ، ومسلكاً للإيمان ، وحافزاً للإسلام .

وكل ذلك يدل على أهمية القصة ، ومكانتها في القرآن الكريم .

الفصل الثاني

القصص بين المدلول القرآني والمفهوم الأدبي

تمهيد :

القصة بجميع أنواعها المختلفة ،. لا تكون. قصة في عرف كتَّابها المحدثين ، إلا إذا اشتملت على عناصر ينبغي أن تتوفر فيها ، وهي تعتبر بمثابة الأركان التي تبنى عليها القصة ، والقواعد التي تؤسس عليها ،. و.هذه. العناصر هي :. ا.لأحداث. ،. المشخصيات. ، والأسلوب ، والحوار ، والعقدة وحلها ، والتشويق ، والهدف ، والزمان ، والمكان .

والقصص القرآني اشتمل على هذه العناصر وزخر بها .

يقول الدكتور/عبده بلبول : "اشتمل القصص القرآني على أحداث وشخصيات ، وأسلوب ، وحوار ، وعقدة ، وحل لهذه العقدة ، وفضلاً عن ذلك فإن له هدفاً وغاية ، وتأثيراً نفسياً ، بالإضافة إلى عنصر التشويق " [١] .

وسوف أتحدث إ.ن شاء الله تعالى ـ عن كل عنصر من هذه العناصر بشيء من التفصيل والتطبيق فأقول فيما يأتي :

***

(١) القصص القرآني ، ص ٥٤ .

المبحث الأول

عناصر القصـــة

(١) الأحـــداث

الأحداث جمع حدث ، والحدث ـ أو الموضوع ـ هو ما تشتمل عليه القصة من قول ، أو فعل ، أو سلوك يمثل موضوعها وأحداثها .

جاء في المعجم الوجيز: الموضوع: هو المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه. [١] وكل قصة لابد أن تشتمل على عنصر الأحداث "الموضوع" ويكون لاسمها دور كبير في سير أحداثها، ونوعها ، ومدى تطورها وتشعبها، ولا تخلو قصة بحال من الأحوال من عنصر الأحداث ، والأحداث دائماً ما تبدأ بالتمهيد للفكرة، ثم عرض الفكرة ، وظهور العقدة ، ثم في النهاية يكون حل لهذه العقدة، والذي يحدد نوعية الأحداث هو نوع القصة، فأحداث القصة الدينية تختلف عن أحداث القصة الأدبية ، أو الأسطورية ٠٠٠ الخ .

والأحداث في القصص القرآني عنصر له أهميته ومكانته ، فقد اشتملت كل قصة في القرآن على أحداث متنوعة ، وموضوعات مختلفة ما بين إيمان وكفر، ودعوة وإنكار، واستجابة وجحود، ونجاة وإهلاك، وخوارق ومعجزات ومن خلال ذلك تظهر معادن

---

(١) المعجم الوجيز ، ص ٦٧٣ .

الرجال، وقوة تحملهم ، ومواطن القوة والضعف فيهم ، ومنازع الإحسان والسوء منهم. (٢)

وعلاقة الأحداث بالشخصيات في القصص القرآني علاقة قوية ، حيث يرتبط كل منهما بالآخر ، ويؤثر كل منهما في صاحبه ، وعلى كل، فالصلة بين الأحداث والشخصيات أقوى من أن يدلل عليها ، لأنهما العنصران الأساسيان اللذان تبنى عليهما القصة .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب ـ رحمه الله ـ : في القصص القرآني نرى تدبيراً عجيباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية توزيعاً محكماً متوازناً بين الحدث والشخصية ، فهما يلتقيان فيتخلق من اجتماعهما مضمون هو بطل الموقف ، فتكون شخصيته أبرز شخوص القصة . (١)

ويقول الدكتور سيد طهطاوي : يتناسب توزيع الحدث مع الشخصية بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ، والذي يظهر هو ما له صلة بالعظة ، فتارة تتوارى الشخصية ليظهر الحدث ، وتارة العكس ، فمثلاً قد يكون القصد تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق ، فيبرز عنصر الأشخاص ، تميزهم الأحداث التي ألمت بهم ، وقد يكون القصد الإنذار والترهيب ، فيبرز عنصر الأحداث ، ويظهر على السطح وتتوارى الشخصيات . (٢)

ويقول الدكتور عبده بلبول : يقوم العمل القصصي على محورين: الحدث والشخصية ، فتكون الشخصية هي الفلك الذي تدور حوله الأحداث ، أو تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات ، وهما يتوازنان في العمل القصصي فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد مرة .(٣)

ومن خلال ما سبق يتبين :

---

(٢) القصص القرآني د/ بلبول ، ص ٥٤ (بتصرف) ، والقصة في القرآن ص ٤٣.

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٤١ .

(٢) القيم التربوية في القصص القرآني د/ سيد طهطاوي ، مص ٨٧ ، ط . دار الفكر العربي.

(٣) القصص القرآني ، ص ٥٤ .

أن عنصر الأحداث عنصر له قيمته ، وأهميته في القصة ، بجميع أنواعها ، فعليه تبنى القصة ، وعلى قدر أهمية الأحداث وتطورها تكون أهمية القصة ومدى تأثيرها في المخاطبين .

(٢) الشخصيات

جاء في معاجم اللغة : الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور ، وغلب في الإنسان ، وكل شيء رأيت جسمه فقد رأيت شخصه .[٤]

والشخصية في الأدب تطلق على: المظهر الجسماني الخارجي للإنسان ، وعلى الدور المقنع الذي يلعبه في التمثيلية .[١]

والمراد بالشخصيات في القصة: الأفراد الذين تشتمل عليهم ، ويمثلون أبطالها ، ويحركون أحداثها وموضوعاتها ، وقد تكون شخصيات القصة من جنس المكلفين كالإنس والجن ، وهذا هو الغالب ، وقد تكون من عالم الحيوان والطير ، وقد تكون من الملائكة .

والشخصيات عنصر مهم في القصة بجميع أنواعها المختلفة ، وهي قد تتعدد في القصة ، وقد لا تتعدد .

يقول الدكتور عبده بلبول : الشخصية في القصة قد تكون واحدة ، وقد تكون متعددة ، وذلك راجع إلى نوعية القصة ، فالقصة التاريخية والاجتماعية يغلب فيها تعدد الشخصيات، والقصة النفسية لا مجال لتعدد الشخصيات فيها ، حيث يعمد الكاتب إلى التحليل من كل الجوانب، مما يجعل المجال أمامه لا يتسع لتعدد الشخصيات في القصة ، وذلك هو الغالب، وفي القصص التاريخي تتغلب الشخصية على الحدث، فيكون الشخص هو محور الحركة في القصة ، وهو متعلق الأحداث الجارية فيها، وهذا أيضاً يصدق على القصص الخيالي ، ومن هنا كان أبطال القصص التاريخي والخيالي أشخاصاً لا أحداثاً ، وقل أن يكون بطل القصة ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، أو

---

(٤) لسان العرب ٤ / ٢٢١١ ، والمعجم الوجيز ، ص ٣٣٧ .

(١) المعجم الفلسفي ، ص ٢٢٦ .

كائناً من الكائنات غير الإنسان، فإن كان شيئاً من ذلك كان منظوراً إليه دائماً من خلال الإنسان [٢].

ورسم الشخصيات في القصة شيء ضروري ، وذلك حتى يبرز دورها وتتضح معالمها ، والقصاص الجيد هو الذي يحدد ملامح الشخصيات من خلال رسمه لها .

وعن رسم الشخصيات في القصة يقول الدكتور محمود بن الشريف:

" لكل قصاص طريقته في رسم الشخصيات ، فبعض القصاص يستعين على رسم شخصياته بوصف ملامحها الخارجية ، أو الداخلية، أو هما معاً ، وبعضهم يدع الحركات والحوادث ترسم الشخصيات ، وبعضهم يستخدم الطريقتين معاً ، والقصاص دائماً وأبداً يتتبع أبطاله في خطوات الحياة ، يحلل ويعالج ، ويصور"[١] .

ويرى الدكتور محمود بن الشريف : أن هناك ضوابط يجب أن يعنى بها الكاتب في رسم شخصياته وهي :

(١) أن يعنى برسم شخصياته ، وتلوينها ، وتجسيمها في قصته .
(٢) أن يجعل شخصياته تصدر في أقوالها وأفعالها عن منطق الحياة.
(٣) أن يحلل شخصياته تحليلاً نفسياً حتى يتفهمها القارئ .
(٤) أن يجعل شخصياته تتكلم بالأسلوب الطبيعي ، الذي يلائمها ويلائم نفسياتها ، فالأسلوب الذي يتحدث به العالم اللغوي المفكر يجب أن يكون غير الأسلوب الذي يتحدث به الإنسان الجاهل ، أو الأمي أو متوسط الثقافة ، وبذلك يكون لكل شخصية كيانها المستقل ، فترسم رسماً يوضح معالمها وسماتها . [٢]

الشخصيات في القصص القرآني :

---

(٢) القصص القرآني ، د/ بلبول ، ص ٥٤ .

(١) القصة في القرآن ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

اهتمت القصة القرآنية بعنصر الشخصيات اهتماماً بالغاً ، وركزت عليه تركيزاً دقيقاً ، ورسمته رسماً واضحاً أظهرت من خلاله الصفات النفسية ، والخصائص العقلية ، والملامح الجسمية ، فصورت لنا الشخصيات وكأننا نراها رأي العين ، ونشاهدها وهي تقول وتفعل ، وننظر إليها وهي تغدو وتروح ، وتجيئ وتذهب ، ونحس بها وبما تضمره من خير أو شر ، ونشعر بها وبعواطفها ووجدانياتها.

والشخصيات في القصة القرآنية شخصيات من عالم الواقع ، ليس للخيال فيها نصيب ، ومن هنا كان ذكر أسماء هذه الشخصيات له دور كبير في الشعور بوجودها في القصة، وهذا ما لم يتحقق للقصة الحديثة.

يقول الأستاذ / عبد الكريم الخطيب ـ رحمه الله ـ :

الشخصيات في القصص الأدبي قد تكون واقعية ، وقد تكون من صنع الكاتب وخياله ، ومن هنا لا يكون للكشف عن أسمائها أثر في وجودها الذي أقامها الكاتب عليه ، وهذا من شأنه أن يضعف الإحساس بوجود الشخصية في الدور الذي تمثله،ولهذا فإن الصفات لا الأسماء هي التي تحدد معالم الشخصية هنا .

أما في القصص القرآني ، فالوضع مختلف تماماً ، حيث إن كل مواده من أناس، وأشياء ، وزمان ، ومكان ... الخ كلها من الواقع الحقيقي المصفى، ولذا فإن الكشف عن أسماء شخصيات القصة يشعرك دائماً بالحضور الوجودي البارز للشخصيات في القصة .[١]

وقد أفاض القصص القرآني في ذكر الشخصيات على ألوان متعددة، وأحوال مختلفة ، فذكر الرجال، والنساء، والصغار ، والكبار ، والرسل والأقوام، والمؤمنين، والكافرين ، والملائكة ، والجن ، والشياطين ، والحيوان والطير ، والحشرات ، كل ذلك صوره تصويراً دقيقاً ، بكل خلجة من خلجاته وكل ظاهرة من مظاهره ، وأبرز ما في التصوير الفني للشخصية بصفة عامة هو الدقة في حكاية أقوالها ، والعمق في التعبير عن مشاعرها ، وصدق الترجمة

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٤٠ .

الباطنية عن خواطرها : فشخصيات الرجال غالباً ما كانت تسيرها المصالح العامة ، والنزعات النفسية والأهواء ، وشخصيات النساء غالباً ما كانت تسيرها العواطف والغرائز ، باستثناء شخصيات الرسل ، والملائكة ، والمؤمنين .

وشخصيات القصص القرآني على كثرتها يمكن حصرها فيما يلي:

(١) شخصيات الأنبياء والملائكة والمؤمنين .

(٢) شخصيات الكافرين والمعاندين .

(٣) شخصيات الحيوان والطير والحشرات .

أما شخصيات الأنبياء : فقد ذكر القرآن جميع أسماء من ذكرت قصصهم إلا قليلاً ، وذكر خصائصهم النفسية ، والعقلية ، والأخلاقية ، ومدى ما تحملوه في سبيل إبلاغ الدعوة وهداية الضالين ، وذكر القرآن أن في شخصيات الأنبياء جانبين: جانب نبوي ، فيه العصمة والمعجزات وجانب بشري ، فيه ما يعتري البشر من نسيان أو خوف ، أو فتنة ، ومن أكل ، أو شرب ، أو نكاح ... الخ .

وأما شخصيات الملائكة: فقد ذكرها القرآن ، وبين أنهم معصومون عن معصية الله تعالى، وأنهم يفعلون ما يؤمرون به من الله تعالى، وذكر وظيفة بعضهم كالحفظة ، والكتبة ، وكقبض الأرواح ، وتنزيل الوحي ...الخ ، وذكر لنا أيضاً بعض أسمائهم : كجبريل ، وميكائيل ، وهاروت وماروت ، عليهم السلام ، إلا أن الغالب عدم ذكر أسمائهم، وقد ذكر لهم القرآن أدواراً عديدة في قصصه ، منها : دورهم في قصة آدم عليه السلام ودورهم في قصة إبراهيم عليه السلام، ودورهم في قصة لوط عليه السلام ... الخ .

وأما شخصيات المؤمنين من غير الأنبياء: فقد ذكرها القرآن وركز على خصائصهم وصفاتهم ، ويمكن تصنيفهم كالتالي :

(١)شخصيات مؤمنة لم تثبت نبوتها، بعضها ذكر باسمه مثل : طالوت وذي القرنين ، ولقمان ، وبعضهم ذكر بوصفه مثل شخصية العبد الصالح الذي تعلم منه موسى عليه السلام ، وشخصية الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها .

(٢) شخصيات مؤمنة من الأقوام : مثل مؤمن آل فرعون ، ومؤمن أصحاب القرية ، ومؤمن قوم ثمود .
(٣) شخصيات مؤمنة من النساء مثل : مريم ، وامرأة فرعون ، وملكة سبأ .
(٤) شخصيات مؤمنة من الجن : مثل العفريت في قصة سليمان عليه السلام .

وأهم ما يبرزه القرآن الكريم من سمات هذه الشخصيات المؤمنة هو : قوة إيمانهم بالله ولجوؤهم إليه وتوكلهم عليه وشجاعتهم في مواجهة قومهم ، وقدرتم العقلية الفائقة على إقامة الحجة ونصب الأدلة على دعوى الرسل ، وبيان فضل الله عليهم وإحسانه إليهم ، حتى أن موسى عليه السلام يتعلم من العبد الصالح الذي علمه الله من لدنه علماً .

وأما شخصيات الكافرين والمعاندين : فقد ذكرها القرآن بكل ما تحمل من صفات قبيحة ، ومعان مرذولة ، وأخلاق ذميمة ، وسلوك منحرف ، وضعف بشري ، وخلل معنوي ، وقل أن يذكر الأسماء: كفرعون ، وهامان ، وقارون وجالوت ، وغالباً ما يعبر عن هؤلاء الكافرين بلفظ الأقوام ، والملأ ، والأصحاب ، والرهط .

وشخصيات الكافرين والمعاندين مستويات اجتماعية متنوعة ، منهم الملك والوزير ، والغني والفقير ، والرجال والنساء ، والجندي والقائد ، والعامة وأشراف القوم ، وكل نموذج يمثل طائفة معينة .

ففي طغيان الملك والحكم نجد : فرعون مصر ، وملك بابل ، وفي تسلط الوزراء وفسادهم نجد : هامان وزير فرعون ، وعزيز مصر وزير الملك ، وفي طغيان المال والغنى نجد: قارون ، وصاحب الجنتين في سورة الكهف ، وفي شخصيات الفقراء نجد : الذين يريدون الحياة الدنيا في قصة قارون ، وفي شخصيات النساء نجد: امرأة نوح ، وامرأة لوط ، وفي شخصيات الجنود نجد : عاقر ناقة صالح ، وجنود قارون الحاملين لمفاتيح خزائنه ، وفي شخصيات القادة : نجد جالوت ، وفي شخصيات العامة نجد : شخصيات قوم فرعون، وفي شخصيات أشراف القوم نجد: شخصيات الملأ من قوم فرعون ، وشخصيات الكافرين من قوم ثمود .

وفي الشعوب نجد : الشعب الجاهل الذي قابله ذو القرنين ، والشعب المستعصي على القيادة كاليهود ، والشعب الطائع المستسلم لحكامه ، كشعب مصر ، والشعب الكافر الجاحد المتكل على قوته كعاد وثمود وقوم نوح ، وفي مجتمع الأسرة نجد : شخصيات متعددة ، كالابن الكافر للأب المؤمن كما في قصة نوح عليه السلام ، والعكس كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر ، ونجد الزوجة الكافرة للزوج المؤمن : كامرأة نوح وامرأة لوط والعكس كامرأة فرعون ، ونجد : الأخ الصالح للأخ الظالم كما في قصة ابني آدم ، وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته .

هذه هي شخصيات الكافرين بكل مستوياتها ، ولا ننسى أن نذكر شخصية كبير الكافرين والمعاندين إبليس لعنه الله ، فقد ذكرها القرآن الكريم مرات عديدة من خلال قصة آدم عليه السلام فأظهر لنا سمات ومظاهر ذلك اللعين قبحه الله.

وكذلك لا ننسى شخصيات الحيوان والطير والحشرات ، فهي شخصيات

ذكرها القرآن في قصصه ، وأدار على لسان بعضها حوارات عظيمة نستفيد منها فوائد كثيرة في مجال الإيمان ، والأخذ بالأسباب ، والتعلم والمعرفة ، فمثال شخصيات الحيوان : ناقة صالح عليه السلام ، وكلب أهل الكهف ، وحمار العزير ، ومثال شخصيات الطير : غراب ابني آدم وهدهد سليمان عليه السلام ، ومثال شخصيات الحشرات : نملة سليمان عليه السلام .

وجملة القول :

أن القصص القرآني أفاض في ذكر الشخصيات المتنوعة التي تمثل كل طوائف المجتمع من قاعه إلى قمته ، وذكر مع كل شخصية سماتها وصفاتها ، ورسمها رسماً دقيقاً صور من خلاله الشخصيات وكأنها حاضر يشاهد ، وواقع يلمس .

والملاحظ : أن القرآن حين يصور الشخصيات فإنه غالباً يركز على إبراز الجوانب العقلية ، والخصائص النفسية ، والطبائع الخلقية ، والمشاعر والأحاسيس الداخلية ، والعواطف والأهواء الوجدانية .

وقل أن يبرز القرآن الملامح الجسمية، والصفات الجسدية ، كما في قوم عاد ، حيث أبرز قوة أجسامهم بقوله: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ (١) وقوله : ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (٢) ، وكما في قصة موسى عليه السلام ، حيث أبرز قوة جسمه ومتانة بنيانه في قوله : ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ (٤) ، وذلك حين رفع صخرة البئر وحده ، وكما في قصة يوسف عليه السلام حيث أبرز حسن جماله براعة صورته في قوله تعالى على لسان النسوة : ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٥).

* * *

(١) سورة الأعراف من الآية ٦٩ .

(٢) سورة فصلت من الآية ١٥ .

(٣) سورة القصص من الآية ١٥ .

(٤) سورة القصص من الآية ٢٤ .

(٥) سورة يوسف من الآية ٣١ .

(٣) الأسـلوب

الأسلوب في اللغة هو : الطريق والفن ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول : أي في أفانين منه [١] .

ويقصد بالأسلوب : المنهج الذي يسلكه القاص في عرض أفكاره بتعبير لغوي ، وألفاظ تحمل المعاني المراد إيصالها إلى الغير ، وهذه المعاني ترتبط بالألفاظ ولا تنفصل عنها .[٢]

والأسلوب في القصة عنصر له أهميته : فهو الأداة الناقلة المعبرة عن الأفكار والأحاسيس ، والقصة تكون قصة بأي أسلوب ،ولكنها لا تكون في المرتبة العليا من الجودة ، إلا إذا صيغت بأسلوب جيد قوي يتناسب مع الفكرة وقوتها ، ويجب أن يكون الأسلوب في مستوى الفكرة التي يعالجها الكاتب فيشتد ويلين حسب مواقف القصة ، ولا يخفى أن الأسلوب يحمل إحساس الكاتب وصدقه - إن كان صادقاً - وهذا الإحساس يصل إلى القارئ أو السامع دون عناء ، فللكلمات العربية إيقاع خاص وتأثير نفسي معين ، يشعر به القارئ ويطرب له السامع.

وعن الأساليب القصصية المتعددة وطرقها وفنونها يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب - رحمه الله - : " ليس هناك أسلوب خاص يلتزمه كتاب القصة في عرض الأحداث، فقد يفرض الكاتب نفسه على أشخاص قصته فينطلق عنهم ويتحدث بلسانهم،فهو يأخذ موقفاً يمسك فيه بالأحداث فينقل عن الأشخاص كلامهم مسبوقاً بقوله: " قال، أو قالت ، أو قالا ، أو قالتا ، أو قالوا ، أو قلن ، وقد يجعل الكاتب أشخاصه في مقام الحضور فيدعهم يتحدثون بألسنتهم، وهنا تختفي شخصية الكاتب ، فلا يرى له ظل في تحريك الأحداث ، فتختفي من الحوار كلمة : قال ... الخ .

وهاتان أظهر طريقتين للأسلوب القصصي ، والذي نلمسه في القصص القرآني أنه التزم الطريقة الأولى "طريقة الرواية" ، التي

---

(١) لسان العرب ٣ / ٢٠٥٨ .

(٢) المعجم الوجيز ، ص ٣١٦ ، والقصص القرآني د / بلبول ، ص ٥٥ .

تؤذنك دائماً بأنك تسمع أخباراً قد ذهب أشخاصها في التاريخ ، وانتهى دورهم في الحياة ، وهذه أمارة من أمارات الصدق في القصص القرآني .[١]

والأسلوب في القصص القرآني بديع في بابه ، وجديد في ثوبه ، وموحى في عباراته ، فالألفاظ منتقاة ، دقيقة ، شاملة لمحتوى معانيها ، وإحكام نظم هذه الألفاظ هو جهة الإعجاز في القرآن الكريم مما جعل أسلوب القصص القرآني فريداً في نوعه ومراميه ، فهو عندما يكرر جانباً من جوانب القصة ، تجد أسلوباً جديداً ، ونمطاً فائقاً ، متسقاً مع سابقه ومرتبطاً بلاحقه ، ولا تجد للتكرار المعيب في قصص القرآن مكاناً وموضعاً ، فتكراره دائماً يكون بحلقة جديدة ، ونمط مغاير ، ومعنى فريد .

ومن أساليب التلوين في القصة الواحدة ، أنك تراه تارة يبدؤها بذكر بطلها ، وأخرى بذكر قومه ، وهو في هذه وتلك يطنب حيث يحمد الإطناب ، ويوجز حيث يكون الإيجاز مطلوباً ، والحوار في القصة مرة يكون على وتيرة واحدة ، وأخرى يأخذ من التنويع والتلوين منهاجاً حكيماً ، وأحياناً يذكر أسماء بعض شخصيات القصة وزمان ومكان حدوثها ، وأحياناً لا يذكر شيئاً من ذلك ، وكثيراً لا يلتزم ترتيب المؤرخين للوقائع على حسب ترتيب الأحداث ، إلى غير ذلك من تنوع الطرق ، واختلاف الأفانين ، وكل ذلك يمثل منهاجاً حكيماً في أسلوب القصص القرآني .

يقول الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ عن أسلوب القرآن في قصة بقرة بني إسرائيل :

" جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص ، الذي لم يسبق إليه ، ولم يلحق فيه ، فهو لم يلتزم ترتيب المؤرخين، ولا طريقة الكاتب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتى في القصة الواحدة ، وإنما ينسق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ، ويحرك الفكر إلى النظر تحريكاً ، ويهز النفس للاعتبار هزاً ، فقدم ذكر وسيلة الخلاص ، وهي ذبح البقرة على المخالفة ، وهو قتل

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٨٠ .

النفس ، وذلك يثير الشوق في النفس إلى معرفة السبب، فتتجه الفكرة بأجمعها إلى تلقيه"[١] .

وخلاصة القول : أن للقصص القرآني أسلوباً حكيماً في نظمه واختيار كلماته الموحية المعبرة المجسمة للمعاني والأحداث في أنصع صورة ، وأجمل هيئة إلى أبعد الحدود ، والأسلوب في القصص القرآني أيضاً أسلوب مشوق حكيم يهدي النفوس ، ويشرح الصدور ، ويكشف عن الخفايا التي لا يعلمها إلا الله ، ويصور أحوال النفس البشرية تصويراً بديعاً معجزاً، وهو يمتاز بحسن التقسيم للقصة، وجمال العرض والدقة المتناهية في إبراز تسلسل الأحداث ، وهو في تأدية المعنى بليغ من غير تكلف ولا تعسف ، ونظمه في غاية التناسق والانسجام .

(٤) الحـــــــوار

جاء في لسان العرب : تحاور القوم تراجعوا الكلام ، وأحار عليه جوابه أي رده ، والمحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة ، وحاورته : راجعته الكلام .[٢]

والحوار في الاصطلاح : هو تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر .[٣]

ويقصد بالحوار في القصة : الكلام الذي يدور بين شخصين أو أشخاص قلوا أو كثروا ، والحوار عنصر له أهميته في القصص القرآني ولا سيما القصص الطويل ، والقصة القصيرة قد تخلو من الحوار ، وتمضي على أنها صورة لشخص ، أو رسم لحادثة ، وذلك مثل : قصة أصحاب الأخدود ، وقصة أصحاب الفيل ، غير أن الحوار وجد في القصص القرآني في الأعم الأغلب .

وعن أهمية الحوار في القصة يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب:

" إن الحوار دائماً يعرض القصة عرضاً حيوياً بما لا يدع مجالاً للملل، فالحوار هو الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي،

---

(١) تفسير المنار للشيخ / محمد رشيد رضا ، ١ / ٣٤٦ .

(٢) لسان العرب ، ٢ / ١٠٤٣ .

(٣) معجم المصطلحات الأدبية ، ص ٧٨ .

وبغير الحوار يتحول العمل إلى كتلة باردة متحجرة من الكلمات ، فالتلوين ، والتنويع هو الذي يعطي الحركة التي يخلقها الحوار جمالاً ، ورشاقة ، وحسناً مجدداً ، لا يمله النظر ، ولا تزهد فيه النفس ، والحوار في القصص القرآني يقصر دونه الوصف ، ولا يدل عليه إلا بالحضور والمشاهدة ، وذلك لأن الأسلوب الحواري هو آلة ناطقة ، تحكي مقولات القائلين ، وما وقع عليها من أصوات ، وما دار في القصة من إشارات، وحركات ، وخلجات للنفوس ، وخفقات للقلوب ، إلى غير ذلك مما يشيعه أسلوب الحوار من حرارة الموقف وانبعاث للأضواء في كيان العمل القصصي ، وحين تقف بين يدي موقف من مواقف الحوار ، تجد المشهد كله حاضراً مشخصاً يملأ الأسماع والأبصار بكل خلجة أو خاطرة وقعت فيه "[١] .

والحوار في القصص القرآني يأتي على ثلاث صور :

(١)حوار قصير : تعرض فيه الأحداث عرضاً سريعاً ، وغالباً ما يعتمد على الإشارة .

(٢)حوار طويل : تفصل فيه الأحداث تفصيلاً ، ويغلب وجوده في القصص الطويل .

(٣)حوارات على درجات متفاوتة بين الإيجاز والتفصيل .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب : " إن القرآن الكريم لم يلتزم نهجاً واحداً في إقامة البناء الحواري ، فهو يذهب به كل مذهب ، ويلونه ألواناً مختلفة حسب مقتضى الحال ، وداعية المقام ، فهو حيناً يختصر الأحداث ، ويعرضها عرضاً سريعاً تغني فيه الإشارة اللامحة ، واللمحة الدالة على العبارات المبسوطة ، وأحياناً يفصل الأمر تفصيلاً ، وفيما بين الأمرين درجات متفاوتة في الإيجاز والتفصيل ، وتجدر الإشارة إلى أننا لا نقف عند الحوار من حيث امتداده وقصره،وإنما نقف منه من حيث التصوير للمواقف تصويراً تاماً ، أو تصوير الجانب المراد تصويره منه " [١] .

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ١٢٤ .

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ١٢٤ .

والحوار في قصص القرآن تختلف سماته باختلاف الموقف الذي يدار من أجله الحوار ، فمثلاً الحوار بين الابن وأبيه تظهر عليه سمات الحب ، ومظاهر الرحمة ، والحنان والمودة ، كما في حوار يوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام، والحوار بين أخوة يوسف عليه السلام بشأنه تبدو عليه سمات الحقد والحسد والغيظ والكراهية ، وهكذا تجد لمواقف الحب حواراً ، ولمواقف الكره حواراً ،ولمواقف الشدة سمات ، ولمواقف اللين مظاهر أخرى .

وعن السمة الظاهرة التي تميز بها القصص القرآني عن غيره في أسلوبه الحواري يقول الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب ـ رحمه الله ـ :

" للحوار في القصص القرآني سمة خاصة ، وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين ، فهي ذاتية تشعرنا بأننا إزاء شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ، ولها منطقها وتفكيرها ، ولها منزعها ، وإرادتها ، في الموقف الذي تقفه في الحدث ، وفي الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها ، دون أن نستشعر بأن ملقناً من ورائها يلقنها الكلمات التي تلقيها ، أو يحركها الحركة التي تؤديها ، على حين نجد ذلك الشعور غامراً فياضاً في أكثر القصص الأدبي ، حيث نرى الأشخاص يتحدثون ، ويتحركون بما يضعه المؤلف على ألسنتهم من كلام ، وما يشير إليهم به من حركة .

ولعل أوضح مثال على ذلك هو الحديث الذي قصه القرآن الكريم على لسان الهدهد في موقفه مع سليمان عليه السلام ، حيث لا يشعر القارئ أو السامع أنه في مواجهة حيوان أعجم ، وأن هذه الكلمات التي نقلت عنه ليست إلا تخييلاً ، أو تعبيراً عن واقع الحال ، إنما نشعر شعوراً صادقاً بأن هذا الحيوان قد نطق فعلاً بهذه الكلمات ، وأن ما نطق به إنما كان تعبيراً صادقاً ، وتصويراً صحيحاً لمشاعره ومدركاته ، وأن كل كلمة قالها إنما هي منه عن علم وفهم ووعي . (١)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

والحوار في القصص القرآني لا يسرد جميع حوادث القصة ، ولا يتتبع الجزئيات، ولا يذكر كل همسة ولمسة فيها ، وإنما دائماً يركز على مواطن العظة والعبرة، ويترك في أحداث القصة فجوات - جزئيات - يملؤها خيال القارئ ، فمثلاً : في قصة يوسف عليه السلام ، ترك الحوار كثيراً من الأحداث وطوى الأيام والشهور والأعوام ، ومن أمثلة ذلك :

(١) ما كان بين التقاط يوسف عليه السلام من الجب ، ووصوله إلى مصر ، ودخوله بيت العزيز ، لم يجر له ذكر في القصة .

(٢) في موقف المراودة نجد القصة تضعنا وجهاً لوجه مع حادث المراودة ، ولا شك أن المراودة لم تكن أول موقف من امرأة العزيز إذ لابد لها من مقدمات ، وإشارات ، وتلميحات .

(٣) رحلات إخوة يوسف عليه السلام من الشام إلى مصر والعكس ، ورحلة يعقوب عليه السلام أخيراً إلى مصر ، كل هذه الرحلات طويت فيها المسافات المكانية والزمانية ، ولم يكن لها ذكر ، ومع ذلك لا يحس القارئ بانقطاع الأحداث.[٢]

(٥) العقدةُ وحلُّها

جاء في لسان العرب : العقد : نقيض الحل ، وعقد كلامه : أعوصه وعماه ، ويقال للرجل إذا سكن غضبه : قد تحللت عقده .[٣]

وفي المعجم الوجيز : العقدة من كل شيء إحكامه وإبرامه ، والعقدة في الكلام الصعوبة والغموض " [١] .

والعقدة في القصة هي : نتيجة أحداث القصة وأسباب تتابعها ، وقد تشتمل على سر غامض يحتاج إلى ذكاء خاص يتنبأ له بالحل ، ولا يلزم التتابع الزمني فيها . [٢]

---

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهمه ، ١٢٨ ، ١٢٩ (بتصرف) .

(٣) لسان العرب ٤ / ٣٠٣٠ .

(١) المعجم الوجيز ، ص ٤٢٧ .

(٢) القصص القرآني د / بلبول ، ص ٥٦ .

والعقدة قد تكون واحدة ، وقد تكون متعددة ، وذلك لأن القصة قد تشتمل على موقف أو مواقف متعددة ، كل منها يمثل عقدة تحتاج إلى حل ، وقد لا تتصل هذه المواقف ببعضها ، وقد تتابع الحوادث مع النوعين ، أو لا تتابع ، وقد تكون النتيجة واحدة كما تكون مختلفة .

وليس بلازم أن تكون كل قصة مشتملة على عقدة أو أكثر ، فقد تبدأ القصة وتنتهي بدون ظهور عقدة ، غير أن الغالب فيها وجود عقدة أو أكثر من عقدة ، وذلك لأنها تحركها ، وتدعو إلى متابعتها ، وإعمال ذهن القارئ إلى وضع حل لهذه العقدة يتنبأ به قبل ظهور الحل الذي وضعه مؤلفها .

والفرق بين العقدة والحكاية : أننا نسأل في الحكاية : ثم ماذا بعد ذلك ؟ أما في العقدة فنسأل : لماذا حدث ذلك ؟ ومثال ذلك : إذا قلت : مات الطفل ، ثم مات أبوه ، كان ذلك حكاية ، أما إذا قلت : مات الطفل ثم مات أبوه على أثره ، ولا علم لأحد بسبب موت الأب ، كان ذلك عقدة لأن القارئ أو السامع يشغل تفكيره بالسبب الذي من أجله مات الأب . (٣)

ومن البدهيِّ أن لكل عقدة حلاً، وهذا الحل قد يكون موفقاً أو غير موفق، وقد يرضى عنه القارئ أو لا يرضى، وربما يعبر حل العقدة عن رأي الملف فقط من غير مراعاة لعادات وتقاليد القارئين والسامعين وقد يكون الحل بداية لموقف آخر لا يعرف مصيره، ولا تذكره القصة وقد تترك العقدة بدون حل ، أملاً في وصول القارئ إلى حلها ، وقد يتعمد ذلك ليترك القارئ يسبح بخياله في القصة دون نسيان لها مدة طويلة ، وقد يفعل ذلك رغبة منه في بيان أن القصة صورة من المجتمع لا حل لعقدتها في بعض الأحيان ، كما أن كثيراً من مشكلات الحياة لا حل لها ، وقد يفعل ذلك عمداً إلى أن هذه هي القصة بعقدتها ، ويطلب لها حلاً من أفراد المجتمع .(١)

---

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ (بتصرف)

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧ (بتصرف) .

والقصة القرآنية اشتملت على عنصر العقدة وحلها في الأعم الأغلب ومثال ذلك في قصة آدم عليه السلام : " أن إبليس لعنه الله امتنع عن السجود لآدم عليه السلام، وخالف أمر الله تعالى وعصى، فالقارئ أو السامع عندما يعلم ذلك ، يفكر ويسأل ، وتذهب نفسه مذاهب شتى ، ويقول : ماذا حدث لإبليس بعد أن خالف أمر الله تعالى ؟ وهذه عقدة أولى في القصة .

وأيضاً: فإن آدم عليه السلام وزوجه أكلا من الشجرة بعد النهي عن الأكل منها، فالقارئ عندما يعلم ذلك يفكر ويسأل : ماذا حدث لآدم وزوجه بعد مخالفتهما نهي ربهما ؟ وهذه عقدة ثانية في القصة ،ولكن بأسلوب إلهي معجز ، وليس بأداء كلام يستغنى عنه في أغلب الأحيان.

والقصة أيضاً اشتملت على حل لكل عقدة وجدت فيها ، فحل العقدة الأولى هو ما ترتب على الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام من حوار بين الله وبين إبليس عن سبب الامتناع، مجادلة إبليس في ذلك ، ثم ما ترتب على كفره وجحوده من الطرد ، والإبعاد عن الجنة ، وحل العقدة الثانية هو ما ترتب على الأكل من الشجرة المنهي عنها من نزع اللباس ، وظهور السوءات والاستتار بأوراق الشجر ، والعتاب من الله ، وطلب التوبة والعفو ، وقبول التوبة ، والخروج من الجنة ، والهبوط إلى الأرض . (٢)

***

(٦) التشـــويق

جاء في معاجم اللغة : الشوق والاشتياق ، نزاع النفس إلى الشيء، والشوق : مصدر شاقني الشيء شوقاً من باب قال ، والمفعول مشوق ، ويتعدى بالتضعيف فيقال : شوقته ، واشتقت إليه فأنا مشتاق وشيق.(١)

---

(٢) القصص القرآني ، د / بلبول ، ص ٦٠ (بتصرف .

(١) لسان العرب ٤ / ٢٣٦١ ، والمصباح المنير ١ / ٤٤٧ .

والتشويق في القصة : هو الذي يحفز القارئ إلى مواصلة القراءة ليرى الخاتمة كيف تكون ؟ وهو يمنح القصة مقدرة على إغراء القارئ والاستحواذ على مشاعره ،وجذبه نحو موضوعها حتى يفرغ منها تماماً وهو يتابعها بنشاط وحيوية ، وبدون عنصر التشويق تصبح القصة باردة الأسلوب، متحجرة العبارات، لا تشجع على متابعتها،أو الاستمرار فيها .

وللتشويق في القصص القرآني مكانة عالية ، وأهمية خاصة ، فلا توجد قصة من قصصه إلا وهي حافلة بمظاهر التشويق وسماته .

ولعل من أعجب أساليب التشويق ما قصه الله علينا في قصة أصحاب الكهف ، فقد ذكر ملخصاً للقصة ثم مضت الآيات في ذكر التفاصيل ، وذلك حتى تتشوق النفس إلى التفصيل بعد الإجمال ، وهذا اللون من التشويق لا يقدر أي مؤلف على محاكاته ، ولا يمتلك الجرأة على مضاهاته ، لأن كل مؤلف يحرص كل الحرص على أن يشد انتباه القارئ ، ويجعله متشوقاً لمتابعة وقائع قصته ، ولا شك أن المؤلف لو ذكر في مقدمة القصة ملخصاً لوقائعها وأحداثها لأفسد التشويق ، وجعل القارئ عازفاً عن المتابعة ، ولكن الله جلت قدرته ابتدأ قصة أصحاب الكهف بملخص لحوادثها ، فهل أطفأ هذا الملخص الرغبة في معرفة التفاصيل؟ كلا، بل لقد أثار هذا الملخص اللهفة العارمة لمعرفة الأحداث بتفاصيلها المختلفة ، وهذا من عجيب أسرار القرآن الكريم .[١]

(٧) الهـــدف

جاء في المصباح المنير : " الهدف " كل شيء عظيم مرتفع مثل الجبل وغيره ، والجمع أهداف ، والهدف : الغرض " [٢] .

---

(١) كتاب القرآن والقصة الحديثة للأستاذ محمد كامل حسن ، ص ٣٠ ، ط دار الكتب ، بيروت ، (بتصرف) .

(٢) المصباح المنير ٢ / ٨٧٣ .

والهدف في القصة هو : المقصد الذي ترمي إليه ، والغاية التي تسعى إلى تحقيقها .

وهو عنصر له أهمية خاصة ، وذلك لأن قصة لا هدف لها عبث بالعقول ، ومضيعة للوقت ، واستخفاف بالقارئ والسامع .

والهدف الذي يرمي إليه مؤلف القصة قد يكون ظاهراً جلياً معروفاً، وقد يكون غامضاً خفياً يحتاج إلى إعمال فكر ، وتشغيل ذهن ، وكد قريحة ، وغالباً ما يحتوي القصص الإشاري والفلسفي على هذا النوع.

ويختلف الهدف في القصة الأدبية عنه في القصة القرآنية ، فالهدف فيها فني بحت قد يقصد به الغرض التاريخي، أو النفسي ، أو الفلسفي أو العلمي ، أو العاطفي ... الخ ، أما الهدف في القصة القرآنية فهو ديني مسوق للموعظة والتربية والتوجيه ، وإن اشتملت مع ذلك على أهداف فنية في بعض ألوانها .

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ " القصة الأدبية عمل فني مستقل في موضوعه ، وطريقة عرضه ، وإدارة حوادثه ، كما هو الحال في القصة الفنية التي ترمي إلى غرض فني طليق، أما القصة القرآنية فهي إحدى وسائل القرآن إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء" . (٣)

ويقول الدكتور محمود بن الشريف: القصة الفنية الحرة تهدف إلى غرض فني مجرد ، كالغرض التاريخي ، أو الغرض الإنساني العام ، وبهذا تفترق عن القصة القرآنية في الهدف ، من أجل ذلك خضعت القصة القرآنية في موضوعها وأسلوبها وطريقة عرضها ، وأهدافها، لهذا الغرض الديني ، وعلى الرغم من ذلك تشترك مع القصة الفنية في نواحي الجمال الفني المتعلق بالتعبير والتصوير، وعرض المشاهد، والتأثير الوجداني " (١) .

(٨) الزمـــان

(٣) التصوير الفني في القرآن للأستاذ / سيد قطب ، ص ١٤٣ ، ط . دار الشروق .

(١) القصة في القرآن ، ص ٦٦ .

يقصد بالزمان في لغة العرب : الوقت قليله وكثيره . [٢]

ويقصد به في القصة: ذكر الألفاظ التي تدل على مرور الزمن في أحداث القصة ، سواء كان ذلك عن طريق ذكر الألفاظ الصريحة الدالة على الزمن ، أو كان عن طريق التلميح والإشارة إليه .

وعنصر الزمن له مكانه الملحوظ دائماً في سير الأحداث القصصية فالقصة الناجحة هي التي تقوم على ملاحظة العنصر الزمني، وما يحمل في طياته من إشارات، ومظاهر لا تفهم من غيره، ولا بدون ملاحظته .

والقصص القرآني اهتم بعنصر الزمن ، وركز عليه ، ونوه به ، وذكره تصريحاً ، وتلميحاً ، غير أنه لا يذكر الزمن تصريحاً إلا إذا تعلق بذكره فائدة مرجوة ، وكان له أثر في سير الأحداث ، فلا يوجد في القرآن تحديد تاريخي لكل زمن وقعت فيه أحداث قصصه .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب: " إن القصص القرآني ينظر دائماً إلى الزمن على أنه اليد الحاملة للأحداث، والمحركة لها ، وليست دلالات الزمن فيه منتهية عند اللفظ الصريح بها كيوم ، وليلة، وساعة، وشهر، وسنة ، وبضع سنين ، ونحو هذا ، بل إن للزمن دلالات كثيرة لا تحصى ، كأن يكون الشخص صغيراً فنراه كبيراً ، أو يكون ابناً فنراه أباً ، أو طفلة فنجدها أماً ، ففي هذا ونحوه عناصر زمنية متجددة سائرة إلى مراحل وغايات" [١] .

وإليك أمثلة ذكر فيها عنصر الزمن ، في سورة يوسف عليه السلام :

(١) ضبط القرآن الكريم الزمن الذي جاء فيه إخوة يوسف عليه السلام بعد إلقائه في الجب ، حيث قال : ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [٢] هكذا " عشاء " في هذا الوقت بالتحديد كان مجيئهم ، وحرص القرآن على ذكر ذلك الوقت لأن له مكاناً في سير الأحداث ، فهم لم

---

(٢) المعجم الوجيز ، ص ٢٩٢ .

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٨٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٦ .

يستطيعوا أن يواجهوا أباهم بذنبهم في وضح النهار ، فجاءوه ليلاً حتى لا يتفرس الكذب في وجوههم ، فأخبروه خبرهم ، وهم ملففين في ظلام الليل خوفاً من أن يفضحهم ضوء النهار ، لأن العين إذا التقت بالعين كشفت عن كثير من خفايا النفوس ، وأسرار القلوب ، ولهذا يجرؤ الإنسان أن يقول في الظلام ما لا يقوله في النور"[٣] .

(٢) ذكر القرآن مدة لبث يوسف في السجن ، حيث قال (فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) [٤] وهذه الجزئية من الزمن " بضع سنين " لها دلالتها العظيمة في الكشف عن معدن ذلك النبي الكريم ، ومدى قوة تحمله وصبره ، ولو فقدناها في القصة لافتقدنا هذا المعنى العظيم .[٥]

(٣) ومن استخدام الزمن بعنصر التلميح والإشارة ، أن يوسف عليه السلام عندما أخذه إخوته من أحضان أبيه وفعلوا به ما فعلوا ، كان صغيراً ، ومن خلال أحداث القصة نشعر بعنصر الزمن ، وأن يوسف قد تقدم به العمر وجاوز مرحلة الصبا ، لدرجة أن إخوته حين دخلوا عليه عندما جاءوا يمتارون الطعام من مصر في زمن المجاعة ، لم يعرفوه ، وذلك لبلوغه مبلغ الرجال ولطول العهد به.

(٩) المكـــان

جاء في المعجم الوجيز : المكان : الموضع ، والجمع أمكنة .[١]

---

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٨٤ (بتصرف) ، ومن كتاب / من لطائف البيان في سورة يوسف عليه السلام د / محمد بكر إسماعيل ، ص ٥٤ ، ط دار المنار.

(٤) سورة يوسف من الآية ٤٢ .

(٥) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٨٥ .

(١) المعجم الوجيز ، ص ٥٤٦ .

ويقصد بالمكان في القصة : ذكر المواضع من البلاد والمدن ونحوها في أحداث القصة .

والمكان يجيء في المنزلة بعد الزمن بمراحل ، وذلك لأن الزمن يؤثر في الحدث تأثيراً مباشراً ، سواء ظهر الزمان وذكر ، أو لم يجر له ذكر ، بخلاف المكان فليس له ذلك الأثر البعيد في صنع الحدث وتطوره .

والقصص القرآني ينظر إلى المكان على هذا الاعتبار ، فهو لا يلتفت إليه ولا يجري له ذكر إلا إذا كان لذكره فائدة ، وكان ذا وضع خاص يؤثر في سير الأحداث ، أو يبرز ملامحها ، أو يقيم شواهد العبرة والعظة منها ، فقد جاء الإسراء مثلاً مقترناً بالمكان الذي بدأ منه ، والذي انتهى إليه ، وكذا مقترناً بالزمان وهو " الليل " ، وذلك حتى تتضح معالم الحدث كلها وتتحدد وجوهه ، أما إذا اختفى ذلك الأثر فلا يذكر المكان ولا يلتف إليه .[٢]

وذكر المكان في القصص القرآني يأتي على عدة صور هي :

(١) قد يذكر المكان ذكراً محدداً ، كمصر ، ومدين ، والطور ، والأحقاف ، وهنا يكون لهذا الذكر داعيه في تلوين الحدث القصصي بلون خاص ينثر عليه من هذا المكان ، فتبدوا على الحدث مظاهر المكان وآثاره .

(٢) وقد يأتي المكان باسمه الصريح ، كالمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .

(٣) ومرة يذكر بصفته ، وسمته ، كما في قوله تعالى : ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[١] .

(٤) وتارة يرد المكان ولا يعرف : كالجودي في قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [٢] .

---

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٩٢ (بتصرف)

(١) سورة المؤمنون من الآية ٥٠ .

هذا وقد تأتي القصة ولا يشار فيها إلى زمان ، ولا إلى مكان .[٣] ولنأخذ مثالاً من قصص القرآن يبرز قيمة ذكر عنصر المكان : في قصة يوسف عليه السلام ذكر للمكان الذي حمل إليه وبيع فيه وهو مصر (وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا) [٤] وإنما ظهر عنصر المكان هنا للإشارة إلى تلك الغربة النائية البعيدة التي فصلت بين يوسف عليه السلام وبين أهله ، فهم في أرض كنعان بالشام ، وهو في أرض مصر ، ومن فوائد ذكر المكان أيضاً هنا أن هذا المكان بالتحديد سيكون مسرحاً لأحداث كثيرة ستقع في هذه القصة ، بل إن أحداث القصة ـ إلا قليلاً ـ وقعت في هذا المكان منذ ذلك الذكر ، فمن المراودة وما تم فيها إلى السجن ، والدعوة فيه إلى الله ، إلى تأويل رؤيا الملك ، إلى تولي قيادة الأزمة ، إلى مجيء أخوة يوسف ، وما جرى بينه وبينهم ، إلى مجيء أبويه ... ، كل ذلك وغيره من التفصيلات الجزئية وقع في هذا المكان، فإن لذكر ذلك المكان أعظم الأهمية في القصة كلها.[١]

وبعد ،،

فهذه هي العناصر التي اشترطها الأدباء في القصة ، ذكرتها معرفة وموضحة ، ومطبقاً عليها بالأمثلة ، ونلاحظ أن : بعض هذه العناصر ضروري ، ويجب أن تشتمل عليه القصة ، كالأحداث والشخصيات ، والأسلوب ، وبعضها يمكن الاستغناء عنه مثل عنصر الزمان والمكان ، والعقدة وحلها ، غير أن وجود هذه العناصر يكسب القصة جمالاً وبهاء .

---

(٢) سورة هود من الآية ٤٤ .

(٣) القصص القرآني ، ص ٩٤ (بتصرف)

(٤) سورة يوسف من الآية ٢١

(١) من القصص القرآني ، ٩٤ (بتصرف) .

المبحث الثاني

القصص القرآني والقصص الحديث

أولاً : نشأة القصة وتطورها:

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وفضله على كثير ممن خلق بلسان ناطق، وقلب سليم ، وعقل مفكر، وخلق من أجله السماوات والأرض ، والظلمات والنور ، والشمس والقمر ، والنجوم والجبال والدواب ، وأناط به العلم والمعرفة ، ودعاه إلى التفكير في أسرار هذه المخلوقات ، ومعرفة الحكمة من خلقها ، والتوصل إلى جليل فوائدها ، والإيمان بخالقها ومبدعها .

كل ذلك دفع الإنسان دفعاً إلى إعمال عقله، وسعة خياله، وتطوير فكره ، فرتب المقدمات ، وبنى الوسائط ، واستخلص النتائج ، وتعلم وعلم ، وأثر في غيره وتأثر به ، وقص على أبنائه خلاصة تجربته مع الحياة وما رآه فيها ، ومن هنا ظهرت القصة .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب ـ رحمه الله ـ : " إن القصة ظهرت منذ الخطوات الأولى للإنسان على هذه الأرض ، وأنها لم

تتأخر كثيراً عن وجوده في هذه الحياة ، فعندما وجد الإنسان وجدت معه القصة ، فكانت أول رفيق صحبه منذ خطواته الأولى على هذا الكوكب الأرضي ، فآنس وحشته ، ووصل ما بين عالمه المائج في كيانه ، وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة ، هذا ما نستطيع أن نقرره في غير مجازفة أو مبالغة ، فالقصة أول ما عرف الإنسان من تصورات عقله ، وصيد خواطره ، وطوارق أحلامه " [١] .

ولما طال العهد بالإنسان ، ومرت الأيام والسنون ، وباعد بين الإنسان والإنسان مر الدهور وكر العصور ، نسي الإنسان هداية السماء أو تناساها ، وأهمل شرائع السماوات ، فأطلق لعقله العنان ، ومنح خياله حرية الغوص في غيابات الجهالات ، ورضي من نفسه لنفسه بتفسير الأشياء وتحليلها، على قدر ما منح من عقل بعد أن وقف أمام فهمها موقف العاجز، فاختلق الأساطير، وتوهم الأوهام ، وافترض ما شاء ، ومن هنا نشأت القصة الأسطورية .

يقول الدكتور محمود بن الشريف ـ رحمه الله ـ : " عاش الإنسان البدائي في أجواء لم يستطع عقله القاصر أن يحللها تحليلاً صحيحاً، أو يعللها، أو يسبر غورها ، أو يعرف كنهها ، فقد رأى ظواهر الطبيعة، ومظاهر الكون من رياح، وجبال، وصواعق ، وأمطار ، وظلام ، وضياء ، وسيول جارفة ، وعواصف مزمجرة مدمرة ، فوقف أمام جميع هذه الأمور وقفة الحيرة ، والخوف ، والرعب ، وأخيراً اهتدى إلى حل أقنع به نفسه ، وهو أن هذه الظواهر أرواح كروحه تعمل، وتعبث، وتهدم، وتدمر وتأكل، وتشرب ، وتنام وتستيقظ ، هكذا تخيل ، وهكذا افترض وفسر الحياة المحيطة به ، وكان هذا العمل هو أول خطوة خطاها الإنسان في سبيل إنشاء الأسطورة " [١] .

ثم بعد ذلك تأتي رسالات السماء هداية للناس ، وعناية بهم ، وأخذاً لهم نحو الإصلاح والتقويم، والتهذيب، والتعليم، وتتوالى رسالات السماء تترا فيبعث رواد الفكر، وساسة الخلق، وحكماء

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٣ .

(١) القصة في القرآن : د/ محمود بن الشريف ، ص ٣٧ ، ط . دار مكتبة الهلال .

العقل، وضابطوا الخيال ، حتى نزلت قصص العهدين : القديم والجديد ، تلك القصص المتعددة المضامين والألوان ، ولولا التحريف والتبديل الذي وصل إلى كثير منها ؛ لكانت من أسبق الأمثلة على القصة الواقعية .

يقول الدكتور عبده بلبول : " إن في كتب العهدين القديم والجديد قصصاً كثيرة متعددة ، فهل يمكن أن يقال عنها : " إنها قصص واقعي؟ والجواب : إن في ذلك شكاً ، وذلك لوصول يد التحريف إلى هذه الكتب فإننا نجد فيها ما لا يقبله العقل السليم ، وذلك دليل على تحريفها "[٢] .

ولعل الدكتور بلبول أصدر حكمه هذا ؛ لأنه رأى التحريف شائعاً في كتب العهدين ، والقدح في عصمة الأنبياء والرسل واضحاً وظاهراً.

فمثلاً في العهد القديم، نسب إلى نوح عليه السلام أنه شرب الخمر، وسكر فانكشفت عورته فرآها ولده " حام " فلم يسترها، جاء في سفر التكوين : "وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجاً ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ، ووجهاهما إلى الوراء ، فلما استيقظ نوح من خمره وعلم ما فعله به ابنه الصغير قال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته "[١].

ونسب إلى لوط عليه السلام أنه زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر فولدتا له ولدين [٢]، وأضيف إلى داود عليه السلام أنه زنى بزوجة قائده: أوريا بعد أن
رآها تستحم فأعجبته ، فحملت منه وكان ابنه من الزنا نبياً فيما بعد.[٣]

---

(٢) القصص القرآني : د/ عبده بلبول ، ص ٤٠ .

(١) سفر التكوين إصحاح (٩) فقرات (٢٠ ـ ٢٧) .

(٢) سفر التكوين إصحاح (١٩ / ٣٠ ـ ٣٨) .

(٣) سفر صموئيل الثاني إصحاح (١١ / ٢٠ ـ ٢٦) .

وعزي إلى سليمان عليه السلام أنه أحب كثيراً من النساء ، حتى أغوين قلبه وأملنه إلى آلهتهن فأشرك مع الله آلهة أخرى .[٤]

إلى غير ذلك من الكبائر والأمور العظيمة التي تتنافى مع عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام ، مما يدل على أن كتب العهدين وصلت إليها يد التحريف والتبديل والتغيير .

ولعل الأصوب في القضية أن يقال : إن الحكم بأن كتب العهدين محرفة حكم على المجموع لا على الجميع ، فإن فيها ما هو واقعي صادق ، وهو قليل ، وفيها ما ليس كذلك وهو الأكثر .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: " أما من ذهب إلى أن كتب العهدين كلها مبدلة من أولها إلى آخرها ، ولم يبق منها حرف إلا بدلوه ، فهذا بعيد ، وكذا من قال : لم يبدَّلْ شيء بالكلية بعيد أيضاً ، والحق : أنه دخلها تبديل ، وتغيير وتصرفوا في بعض ألفاظها بالزيادة والنقص ، كما تصرفوا في معانيها هذا معلوم عند التأمل"[١] .

وقد حدد الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: الحكم في الأحاديث الإسرائيلية بأنها على ثلاثة أقسام ، " أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا ، مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح ، والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا ، مما يخالفه فلا يقبله ، والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته".[٢]

ويمكن أن يقال إن الدكتور بلبول أراد الواقعية في القصة كلها من أولها إلى آخرها ، بحيث تكون صادقة في كل جزئية من جزئياتها ، وهذا مما يسلم له، ولا ينكر عليه، فإن في كل قصة من قصص العهدين صدقاً في حلقة وكذباً في حلقات ، ولا يخلو نبي إلا وافتري عليه ، ونسب إليه من ارتكاب الكبائر ما يقدح في عصمته .

---

(٤) سفر الملوك الأول ، إصحاح (١١ ـ ١ ـ ١٠) .

(١) البداية والنهاية (٢ / ١٣٧) .

(٢) مقدمة تفسير ابن كثير : ١ / ٤

قال ابن كثير - رحمه الله - : " وأما ما بأيدي اليهود من التوراة المعربة فلا يشك عاقل في تبديلها ، وتحريف كثير من ألفاظها ، وتغيير القصص والألفاظ والزيادات والنقص البيّن الواضح ، وفيها من الكذب البيّن ، والخطأ الفاحش شيء كثير جداً، فأما ما يتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم ، فلا اطلاع لنا عليه، والمظنون بهم أنهم كذبة خونة يكثرون الفرية على الله ورسله وكتبه، وأما النصارى فأناجيلهم الأربعة من طريق (مرقس ولوقا ومتى ويوحنا)، أشد أختلافاً وأكثر زيادة ونقصاً، وأفحش تفاوتاً من التوراة" [١] .

وقد كان للعرب في جاهليتها قصص، ولكنها قليلة، ومجهولة المصدر ، وأصابها التغيير والتبديل والزيادة .

يقول الدكتور عبده بلبول: "نعم. قد كان للعرب قصص، ولكنها مع قلتها لا نعرف مصدرها، والظن الراجح أنها نقلت إليهم من الأمم المجاورة "[٢] .

ويقول الدكتور محمود بن الشريف عند تقسيمه للقصة العربية :

القصة العربية تنقسم إلى قسمين :

الأول : قصص مؤلفة لها أصل تاريخي ، وأبطالها حقيقيون ، ووقائعها وقعت في التاريخ ، ولكنها تغيرت بمرور الزمن ، وتبدلت وزيد عليها، ومؤلفها الأصلي مجهول، ومثال ذلك في العصر الجاهلي:

(١) قصة عنترة بن شداد [٣] . (٢) قصة الزير سالم[٤] .

(٣) قصص الحرب والبطولة .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، ٢ / ١٣٨.

(٢) القصص القرآني : د/ عبده بلبول ، ص ٤٠ .

(٣) هو عنترة بن شداد بن عمر العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، وأعزهم نفساً وأحسنهم شيمة وهو من شعراء الطبقة الأولى ، شهد داحس والغبراء مع قومه ، وقتل نحو ٢٢ سنة قبل البعثة ، وقصته خيالية لها أصل ولا يعرف واضعها (خزانة الأدب ٦٢/١)

(٤) هو عدي بن ربيعة التغلبي ، المعروف بالمهلهل ، من أبطال العرب ، لقبه أخوه كليب بزير النساء أي جليسهن لكثرة مجونه في صباه ، ولما قتل كليب ثار للمهلهل ، وثأر له ، وكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت ٤٠ سنة وكان للمهلهل فيها العجائب، توفى نحو ١٠٠ سنة قبل البعثة (خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٣٠٠) .

الثاني : قصص منقولة مترجمة عن الأمم المجاورة ، مثل :
(١) قصة ألف ليلة وليلة ، (٢) قصة كليلة ودمنة .[٥]

ثم بعد هذا كله نزل الكتاب الخاتم حكماً ، عدلاً ، مصدقاً لما بين يديه من الكتب ، ومهيمناً عليها ، فقص علينا أفضل القصص، وحدثنا أحسن الحديث ، وضرب لنا أروع الأمثال ، كل ذلك بصدق محض ، وحقيقة مطلقة ، وأمانة تامة ، ودقة فائقة ، ولا تجد قصة واقعية برمتها من ألفها إلى يائها ، إلا في القرآن الكريم ، الذي يقول الله عنه : (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ).[١] إنه القرآن الكريم الذي لا يقص إلا الواقع،ولا يتحدث إلا عن الحقيقة التي يجهلها الناس.

ومن خلال ما سبق نعلم أن :

القصة منذ بدء الخليقة تأرجحت بين القبول والرد، والواقعية ، والخيال ، والزيادة والتمام ، والصدق والكذب ، حتى أنزل الله كتاباً أخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، فبيّن المقبول وأثبته، وأظهر المردود وأبطله ، فالقصص في القرآن أخبار ثابتة، وحقائق واقعة، وأحداث كائنة ، لا يحوم حول أخبارها شك ، ولا يعتريها ريب ، ولا يشوبها تأويل أو تحريف ، وليس للخيال فيها نصيب ولا للوهم فيها ناقة ولا جمل، ولا للتأليف والزيادة والنقص فيها موضع قدم .

وفي عصر الإسلام نشطت القصة وترعرعت ، ونمت نمواً حسناً، وقد كانت في بداية أمرها محوطة بالعناية ، مصونة بالتشديد على ضرورة صدقها وواقعيتها ، خوفاً من تشويه معالم الإسلام بالقصص الدخيل ، غير الصادق ، فقد اهتم الخلفاء الراشدون بذلك ، وعلى رأسهم في هذا الأمر : عمر بن الخطاب ﷺ ، الذي أراد ألا

---

(٥) القصة في القرآن : د/ محمود بن الشريف ، ص ٤٢ .

(١) سورة فصلت الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

يخرج القاص عن مفهوم كلام الله ، لا يزيد ولا ينقص ، فإن فيه ما يغني عن قصص القصاص ، وعلى بن أبي طالب ﷺ ، الذي كان يخرج القصاص من المسجد ويقول له : لا تقص في مسجدنا .[١]

يقول الدكتور عبده بلبول : " أول من قص على الناس بإذن عمر بن الخطاب ﷺ تميم الداري[٢] ﷺ ، الذي أسلم سنة تسع من الهجرة ، وكان نصرانياً من علماء أهل الكتاب، ولولا وثوق عمر منه ما أذن له.

وأول من قص من التابعين بمكة عبيد بن عمير الليثي [٣] ﷺ ، وكان يحضر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مجلسه ، وأول من لزم القص في

المدينة مسلم بن جندب الهذلي [٤] إمام المدينة ﷺ .

ولم يكن القص في غير القرآن والحديث ، وما يدور حولهما ، وما كان يحلو من أخبار أخذت عمن أسلم من أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام [٥] ﷺ ، الذي أسلم عند الهجرة إلى المدينة ، وكعب

---

(١) القصص القرآني : د/ عبده بلبول ، ص ٤١ .

(٢) هو تميم بن أوس بن خارجة بن خزيمة بن عدي بن الدار القحطاني الصحابي ، حدث عنه النبي ﷺ حديث الجساسة ، وكان أول من قص بإذن عمر ، وأول من أسرج السراج بالمسجد ، وكان نصرانياً فأسلم ثم انتقل من المدينة إلى الشام بعد مقتل عثمان ، ومات سنة ٤٠ هـ) أسد الغابة ١ / ٢٥٦) .

(٣) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي الواعظ المفسر ، كان من ثقات العلماء ، وأئمتهم بمكة وهو من كبار التابعين ، كان ابن عمر يحضر مجلسه ، حدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب وأبي ذر وعائشة وغيرهم ، وتوفي سنة ٧٤ هـ ، وقيل غير ذلك (سير أعلام النبلاء ٤ / ١٥٦) .

(٤) هو مسلم بن جندب الهذلي المدني ، روى عن الزبير بن العوام ، وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم ، وروى عنه ابنه عبد الله وزيد بن أسلم وغيرهما ، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ١٠٦هـ (تهذيب الكمال في أسماء الرجال . للمزي ٢٧ / ٤٩٥ ، ط. مؤسسة الرسالة) .

(٥) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري الصحابي رضي الله عنه ، من سبط يوسف عليه السلام ، كان اسمه الحصين فسماه الرسول ﷺ عبد الله حين أسلم ، لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً حسن إسلامه ومات سنة ٤٣ هـ (أسد الغابة ٣ / ٢٩٤).

الأحبار[١]، الذي أسلم في خلافة عمر، ووهب بن منبه[٢] المتوفى سنة ١١٤هـ ، وينتهي القرن الأول، وينتهي بانتهائه كبار القصاص من التابعين ، كالحسن البصري وغيره ، وتضطرب الفتن، فيعم الدخيل ، والخيال ، والكذب ، والإكثار من الحكايات ، والغرائب لاندماج العامة في العلماء والقصاص المختلقين بأهل الصدق ، حتى ساء الظن بالقصاص ، ولم يلتفت إلى قصصهم ، ودعوا بالمخرفين، ولما جاء العصر العباسي اتسع نطاق القصة العربية والقصة المترجمة ، وجاء القرن الرابع فظهرت المقامات ، وكثر التأليف فيها ، وملأ القصص الشعبي والأسطوري الفراغ وطغى على ساحة التأليف " [٣] .

هذا ويلاحظ أنه :

في عصور الإسلام المختلفة ، كان للقصة أكبر نصيب من الاهتمام والتأليف والتصنيف ، فكتبت التواريخ والسير ، وألفت القصص المتعددة في شتى الفنون ، ودخلها كثير من الإسرائيليات ، وكثير من الخيال ، ولكن الله سبحانه قيض لها أعلاماً ، أظهروا الغث من السمين والحق من الباطل ، فرفضوا الإسرائيليات التي تعارض العقل ، وليس لها عندنا ما يشهد بصدقها ، كما أنهم ضبطوا الخيال وردوه عن جنوحه إلى حد كبير .

ويظل الحال هكذا إلى أن يأتي العصر الحديث ، فتنشط القصة ، وتلبس ثوباً جديداً من التأليف والتصنيف ، وتظهر العناية بها في كثرة ما كتب عنها، وعن أهميتها، وعناصرها،وخصائصها،

---

(١) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني ، الحبر العلامة ، كان يهودياً فأسلم وقدم المدينة في خلافة عمر ، فجالس الصحابة وأخذ عنهم السنن وحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ، فكان يحفظ عجائب ، وكان خبيراً بكتب اليهود ، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة ، توفي بحمص سنة ٣٢ هـ (سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٨٩) .

(٢) هو وهب بن منبه اليماني الصنعاني ، صاحب الأخبار والقصص ، ولد سنة ٣٤ هـ ، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل ، وقيام الدنيا ، وأحوال الأنبياء ، وسير الملوك ، أخذ عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما ، توفى سنة ١١٠ هـ وقيل غير ذلك ، وله من العمر تسعون سنة (وفيات الأعيان لابن خلكان ، ٦ / ٣٥) .

(٣) القصص القرآني : د / عبده بلبول ، ص ٤١ ، ٤٢ .

وأهدافها، وأيضاً يظهر ذلك في كثرة ما ألف: من قصص دينية ، وتاريخية، وفلسفية وعاطفية ، وفنية ... الخ ، وقد كان للخيال في كثير من هذه الألوان مجال واسع ، وأرض خصبة وخصوصاً القصص العاطفية والفنية.

يقول الدكتور محمود بن الشريف: في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي استقبلت الأمة عهداً جديداً ، فأقبلت على أدبها القديم تتزود منه وتجدد فيه ، كان للقصة من هذه النهضة أوفى نصيب في مصر ولبنان وسوريا وغيرها من البلاد العربية،وتوالت الأعمال القصصية حتى وصلت إلى الذروة والمكانة العالية ، وقد كان قصصنا عربي التعبير ، شرقي الطابع ، إنساني الاتجاه والمنزع ، تتجلي فيه نفسيتنا الخاصة ، وتجربتنا الشرقية ، وفي مصر كان أول عمل قصصي في العصر الحديث هو قصة "زينب" للدكتور: هيكل[١] ، وكان ذلك في مطلع القرن العشرين الميلادي ، ثم ظهر من بعده مجددون في عالم القصة المصرية ، مثل الأستاذ محمود تيمور وغيره ، وقد عبر هؤلاء الكتاب عن الروح المصرية ، والمجتمع المصري بصورة رائعة [٢] .

ثانيا: أنواع القصة القرآنية

قسَّم العلماء القصة القرآنية من حيث الشكل إلى خمسة أنواع هي:

---

(١) هو الدكتور محمد حسين هيكل ، الكاتب الصحفي ، والمؤرخ الفاضل ، ولد سنة ١٨٨٢م ، وتولى وزارة المعارف ، ورئاسة مجلس الشيوخ ، وكان من أعضاء المجمع اللغوي ، من مؤلفاته : حياة محمد ،وفي منزل الوحي ، وزينب ، توفي سنة ١٩٥٦م ، (الأعلام ١٠٧/٦) .

(٢) القصة في القرآن : د/ محمود بن الشريف ، ص ٥٨ .

(١) القصة الطويلة: وهي التي يذكر فيها جميع الحوادث، وكافة التفصيلات ، وتكون مطولة الحلقات والمشاهد ، وقد ذكرها القرآن الكريم في صورتين :
الأولي : أن تكون متفرقة في سور شتى، كل سورة تعرض حلقة خاصة ولقطة معينة ، وذلك مثل قصة موسى عليه السلام .
الثانية: أن تكون مجتمعة في سورة واحدة متصلة الحلقات واللقطات ، ونزلت دفعة واحدة ، وذلك مثل قصة يوسف عليه السلام .
(٢) القصة المتوسطة : وهي التي تركز على فترة واحدة من حياة أصحابها ، وذلك مثل قصة نوح عليه السلام ، التي ركزت على فترة الدعوة والرسالة ، وكذا قصة إبراهيم عليه السلام .
(٣) القصة القصيرة : وهي أقصر من القصة المتوسطة ، وفيها تظهر حلقة الرسالة وحدها ، وما فيها من تكذيب ، وإهلاك للكافرين ، وذلك مثل قصة هود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط عليهم السلام .
(٤) القصة المتناهية القصر : وهي تذكر مشهداً واحداً فقط ، مثل قصة أيوب عليه السلام ، التي تعرض حلقة الابتلاء بالمرض ،والشفاء منه ، ومثل قصة يونس عليه السلام عندما ابتلعه الحوت ثم نبذه . (١)
(٥) القصة الإشارية: وهي التي يذكر فيها إشارة خاطفة ، دون أي ذكر للأحداث المتعلقة بها ،مثل قصة إلياس(٢)، وإدريس(٣) عليهما السلام(٤).

وقسم العلماء القصة القرآنية من حيث المضمون إلي :
(١) القصة التاريخية الواقعية:المقصودة بأماكنها،وأشخاصها، وحوادثها ويذكر فيها أسماء أشخاصها ، وحوادثها وأماكنها على وجه التحديد والحصر ،وهي تشمل كل قصة تسرد أخبار الأنبياء ، والرسل ، والأمم الماضية ، وتذكر ما لقيه الأنبياء من

(١) باختصار من القصص القرآني د / عبده بلبول ، ص ٧٠ . ٧٢ ، والقصة في القرآن د/ محمود بن الشريف ، ص ٤٢ .
(٢) ذكر نبي الله "إلياس " بلفظه مرتين في القرآن ، في سورة الأنعام الآية ٨٥ ، وفي سورة الصافات الآية ٢٣ ، وذكر بلفظ " إل ياسين " مرة واحدة في سورة الصافات الآية ١٣٠ .
(٣) ذكر نبي الله إدريس مرتين في القرآن في سورة مريم الآية ٥٦ ، وفي سورة الأنبياء الآية ٨٥
(٤) القصة في القرآن ، ص ٧٥ ، والقصص القرآني د/ بلبول ، ص ٦٩ (بتصرف) .

تكذيب ، وما تحملوه من مشاق ، وكيف صبروا على أذى قومهم حتى جاء النصر من عند الله تعالى ، والقصة التاريخية تساق لأغراض دينية . [١]

(٢) القصة للمثل : وهي التي تبدأ بما يدل على أنها مثل مضروب للمخاطبين ، وتدور حول الحدث، ولا يقصد منها الأشخاص ويغلب عليها اتجاه موضوعاتها إلى السلوك الإنساني إزاء رسالة الله ودعوته إلى التوحيد ، وحث النظر إلى التأمل والتدبر في ملكوت الله تعالى ومخلوقاته ، وذلك لأن المثل يبرز المضمون في صورة حسية ، كما أنه يقرب البعيد ، ويكشف الحقائق ويجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة تثبت في الذهن ، وتدفع إلى الإقناع والتأسي ، وإلى العظة والعبرة .

والقصة للمثل قائمة على الصدق الموضوعي من حيث كونه ممكن الوقوع، فهو متكرر على مر الحياة ، ويبتدئ الصدق الموضوعي في التمثيل بأشخاص غير معينين، لم تذكر القصة أسماءهم في واقع التاريخ، لكن وجود أمثالهم في واقع الحياة ممكن ، وذلك من حيث مواقفهم وتصرفاتهم التي تمليها النوازع النفسية ، والغرائز الفطرية .

والصدق نوعان: صدق واقعي يتصف به القصص التاريخي، وهو أكثر قصص القرآن ، وصدق موضوعي يتصف به القصص التمثيلي وهو قصص قليل في القرآن [٢] .

(٣) القصة الرمزية: وهي القصة المشتملة على إشارات ورموز، لموضوعات ذات أحداث ومواقف ، وذلك مثل قصة بقرة بني إسرائيل ، فهي ترمز وتشير إلى معانٍ عظيمة ، انطوت عليها القصة مثل :

---

(١) منهج التربية الإسلامية للأستاذ / محمد قطب ١ / ١٩٢ ، ط. دار الشروق .

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن : د/ تهامي نفرة ، ص ٢٤٥ ، رسالة دكتوراه منشورة ، جامعة الجزائر ، ط . الشركة التونسية للنشر .

١ـ طبيعة بني إسرائيل المتشككة المستعصية على الانقياد ، فقلوبهم منقطعة الصلة عن الإيمان بالغيب ، والثقة بالله ، والاستجابة للتكاليف ، وألسنتهم منبعثة بالسخرية والاستهزاء .
٢ـ قدرة الله على إحياء الموتى ورؤية ذلك رأي العين .
٣ـ الإشارة إلى حقيقة البعث وطبيعة الموت والحياة ... الخ.[١]

(٤) القصة النفسية: وهي القصة التي تكشف عن الشعور الإنساني الكامن في النفس البشرية، فتصور الانفعالات والعواطف والمشاعر والأحاسيس، وما تنطوي عليه النفس من خير وشر ، وقوة وضعف وحب وكراهية ، وحنان وجفاء ، ومثالها القصص القرآني كله ، ومن الأمثلة الواضحة قصة ابني آدم ، وقصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب ، وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته ، ومع امرأة العزيز .[٢]

(٥) القصة الوعظية : وهي القصة التي يكون أبطالها أفراداً عاديين ـ ليسوا بأنبياء ـ وهدفها هو إبراز العظة الدينية ،والدعوة إلى التضحية وإلى الصبر والتحمل والجهاد ، وهذا النوع يسمى بالقصة الوعظية ، لأنه يساق في قصص القرآن بالقدر الذي يبلغ العظة ، ويوصلها إلى القارئين والسامعين ، وذلك مثل : قصة أصحاب الأخدود ، وقصة أهل الكهف ، وقصة الذي مر على قرية ، وقصة صاحب الجنتين .[٣]

(٦) القصة التعليمية : وهي القصة التربوية التي تشتمل على تعليم وتربية وتوجيه ، فهي تحيي شعوراً عميقاً ، وروحاً تجريبية ، واستقراء مرئياً ، وتهذيباً قوياً ، وتقويماً عالياً ، يوجه الإنسان إلى آيات الله في الكون ، ليثير في القلوب إيماناً قائماً على التجريب والمشاهدة ، وخير مثال على ذلك: هو قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، فإن فيها التعليم، والتوجيه ، والتدريب ،

---

(١) نظرات في قصص القرآن للأستاذ / محمد قطب عبد العال ، ص ١٢٦ ، (بتصرف) ط، إدارة الصحافة والنشر ، مكة المكرمة .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨١ (بتصرف) .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ (بتصرف) .

وبيان ما أكرم الله به رسله من رعاية وعناية ، وما اختصهم به من الأمانة ، والصدق ، والإخلاص ، والابتعاد عن الصفات المذمومة كالغرور، أو الطمع، أو الادعاء بامتلاك ناصية الأشياء [١] .

هذه هي أقسام القصة القرآنية من حيث المضمون .

ثالثاً : أنواع القصة الحديثة

قسم الأدباء القصة بمعناها العام إلى أنواع كثيرة متعددة ، تختلف فيما بينها وتتباين، وهذه الأنواع يمكن تصنيفها تحت قسمين أساسيين هما:

(١) تقسيم من حيث الشكل . (٢) تقسيم من حيث المضمون .

فالقصة من حيث الشكل خمسة أنواع :

(١) القصة الطويلة : ويطلق عليها اسم : الرواية ، وهي تعالج موضوعاً كاملاً ، أو أكثر من موضوع ، وتكون زاخرة بحياة تامة أو أكثر من حياة ، مملوءة بالأحداث والشخصيات ، متعددة الحوارات والأساليب .

(٢) القصة المتوسطة : وهي تتوسط بين القصة الطويلة والأقصوصة، وهي تعالج جوانب أرحب من الأقصوصة ، فلا بأس أن يطول الزمن، وتمتد الحوادث ، وتتشابك ، فهي تمثل فترة من الحياة بأحداثها ووقائعها ذات بدء ونهاية .

(٣) القصة القصيرة : وتسمى بالأقصوصة ، وهي تعالج جانباً من الحياة ، وتتطلب التركيز الفني ، وتدور على محور واحد ، ولا تتناول الجزئيات ، ومع كل ذلك يجب أن يكون الموضوع فيها ناضجاً من حيث المعالجة الفنية .

(٤) القصة المتناهية القصر : وهي أقصر من الأقصوصة ، وتركز على مشهد بعينه ، ولقطة بذاتها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ (بتصرف) .

(٥) القصة الإشارية : وهي التي يذكر فيها إشارة خاطفة إلى الموضوع[١] .

والقصة من حيث المضمون : سواء كانت واقعية أو خيالية ، أو مزيجاً من الصدق والخيال ، ثمانية أنواع :

(١) القصة الدينية: وهي ما نقرؤها في القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، وكذا ما نقرؤها في السنة المطهرة .

(٢) القصة الأدبية : وهي ما يغلب عليها الطابع الأدبي وهي أنواع:

أ ـ قصة عاطفية: وهي تقوم بوصف العواطف، والانفعالات الداخلية، والمشاعر والأحاسيس النفسية .

ب ـ قصة شعبية: وهي تصور حوادث العامة من أفراد الشعب، وواضعوها لا يقصدون الحقيقة في الغالب ، ويغلب عليها الجانب البطولي ، وقد يكون أسلوبها عادياً أو عامياً ، وكثيراً ما ينشدها الشعراء الشعبيون الجوالون على مسامع الناس .

ج ـ قصة بوليسية : وهي التي تصور أحداثاً تعتمد على المفاجآت ، وتشابك الأحداث ، والإثارة ، والغموض ، ولذا نرى القارئ أو المستمع أو المشاهد لها يهتم بكل تفاصيلها لما فيها من إثارة وتشويق .

د ـ قصة شعرية : وهي القصيدة الشعرية المشتملة على قصة ذات موضوع محدد ، وقد تكون مزيجاً من الشعر والنثر .

هـ ـ قصة أسطورية : وهي التي لا تمثل الواقع ، وإنما تكون من نسج الخيال .

(٣) القصة التاريخية : وهي التي تروي أحداثاً مضت ، ولابد فيها من الواقعية والصدق .

(٤) القصة النفسية : وهي التي تعالج الانفعالات، والاضطرابات النفسية ، وتصور ما تنطوي عليه النفس من غرائز ، وما

---

(١) من كتاب القصة في القرآن : د/ محمود بن الشريف ، ص ٢٦ ، ٢٧ (بتصرف) .

يشتمل عليه العقل من أفكار،وهي تتم عن طريق التحليل النفسي للإنسان.

(٥) القصة الاجتماعية: وهي التي تصور حياة الناس وعاداتهم، وتقاليدهم، وعلاقاتهم .

(٦) القصة التجريبية : وهي التي تشتمل على ابتكار ، واختراع ، وإضافة للجديد إلى التراث الإنساني .

(٧) القصة الرمزية: وهي التي لا يراد ظاهرها ، وإنما يراد ما تشير إليه، وهي تبعث على إعمال الفكر لتتبع الحوادث ، وهذا النوع من القصص يعد من الخيال الراقي الذي يختلف باختلاف البيئات .

(٨) قصص البحث: وهو ما يشتمل على دراسة الأحداث من أجل الوصول إلى أهداف لمشكلات محدودة ، ويقصد بهذه الدراسة استخلاص النتائج التي تدور القصة حولها .

وهذه هي الأنواع الثمانية للقصة ، ويمكن إضافة نوع تاسع ، وهو القصة الفلسفية، وهي ما يعني الكاتب فيها بعرض فكرته الفلسفية مثل: قصة حي بي يقظان الفلسفية .[١]

ويلاحظ : أن بعض هذه الأنواع متداخل مع البعض الآخر ، فمثلاً: القصة الدينية يمكن أن تكون أدبية إذا صيغت بأسلوب أدبي ، ولا يخفى أن القصة القرآنية هي أرقى أنواع القصص الأدبي .

والقصص الأسطورية قد تكون دينية ، أو عاطفية، أو تاريخية، أو أدبية.

والقصص على اختلاف أنواعه قد يكتب بأسلوب أدبي، أو بأسلوب عامي، فيما عدا القصص المنزلة فإنها لا تكتب إلا بأسلوب أدبي رفيع.

رابعاً : شروط القصة الحديثة

(١) القصص القرآني : د/ بلبول ، ص ٢٧٠ ، القصة في القرآن : د/ محمود بن الشريف ، ص ٤٢ (باختصار) .

يشترط النقاد في القصة الحديثة شروطاً يجب أن تتوفر فيها حتى تكون عملاً فنياً ذا قيمة ومغزى ، وبدون هذه الشروط لا يكون للقصة من المكانة والأهمية سوى اسمها، فهي وإن أخذت اسم القصة، ووضعت في القالب القصصي ، إلا أنها تسمية شكلية لا قيمة لها في عالم القصة ،

وهذه الشروط هي :

(١) أن تكون القصة نثراً لا شعراً ، وهذا من الأمور المتعارف عليها، وإذا وجد قصص شعري لابد أن يشتمل على عناصر القصة النثرية من أحداث ، وشخصيات، وحوار ، وأسلوب ، وعقدة وحل لها ، وهدف .

والأدب العربي لم يخل من القصة الشعرية، ولا من الملحمة مثل : معلقة عمرو بن كلثوم [١] ، ورائية عمر بن أبي ربيعة ، وغير ذلك ، وإن كان ذلك قليلاً بجانب القصص النثري [٢].

(٢) يشترط أن تشغل القصة زماناً يطول ، أو يقصر، حسب الموضوع الذي تعالجه ، وأن تشغل مكاناً قد يتعدد ، أو لا يتعدد ، حسب تشابك الأحداث ، وأن تكون في بيئة معينة تجري أحداثها فيها، وتتأثر بها.

(٣) أن يكون للقصة وحدة فنية بحيث تكون مستقلة في موضوعها وطريقتها ، وسير حوادثها .

(٤) أن يراعي الكاتب في عرضها جانب التلميح ما أمكن ، فيبتعد عن الشرح المستفيض المهلهل ، وشرح السهل الذي لا يحتاج إلى شرح ، فإن فعل ذلك اتهم القارئ بالغفلة والجهل ، وخرجت القصة مكشوفة لا يجد القارئ فيها شوقاً ولا لذة ، كما أنه يجب على الكاتب أن يبتعد عن الإغراق في التلميح ، وإلا أسلم القارئ إلى الإبهام والغموض والمتاهات التي يضل فيها .

---

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ، شاعر جاهلي ، وفارس شجاع ، وهو أحد فتاك العرب، قتل الملك عمرو بن هند ، وكان عزيز النفس ، سيداً مطاعاً في قومه ، من أشهر شعره معلقته ، توفي نحو سنة ٤٠ قبل البعثة (خزانة الأدب للبغدادي ١٨٣/٣).

(٢) كتاب القصة في القرآن ، ص ٤٧ ، والقصص القرآني د/ بلبول ، ص ٥٤ (بتصرف).

(٥) أن يعني كاتبها برسم شخصياته، ويحللها تحليلاً نفسياً حتى يتفهمها القارئ والسامع .
(٦) أن يكون للقصة هدف ومغزى وإلا كانت لغواً، لا جدوى لها ، وألا تظهر فيها الموعظة أو الحكمة ظهوراً مباشراً .
(٧) أن يعني الكاتب بلغة القصة ، فيكون أسلوبها طبيعياً ، لا هو بالمتهافت ، ولا بالبالغ الصعوبة ، وبلاغة الكاتب تظهر في مراعاة المقام فالإطناب مستحب في موطنه ، والإيجاز مطلوب في موضعه ، وما عدا ذلك تكون الألفاظ على قدر المعاني .
(٨) ألا تخلو من عنصر التشويق، حتى يتابعها القارئ بانتباه ونشاط، وحيوية، وليس معنى ذلك أن ينقلب الكاتب مهرجاً يفتعل الحوادث ليصل إلى هذا الغرض ، فإنه حينئذ يكون متكلفاً مبالغاً ، إنما عليه أن يجعل مظاهر التشويق جزءاً طبيعياً من سياق القصة .
(٩) يجب ألا تبتعد القصة كثيراً عن الصدق والواقع ، والصدق معناه: صدق الإحساس، ثم صدق التعبير عن هذا الإحساس ، بحيث لا يكون هناك صنعة ، ولا تكلف ، ولا تزيد ، إنما فقط إحساس صادق ثم تعبير عن هذا الإحساس ، والقصاص غير الفني ، الذي يحلق دائماً في سماوات الأوهام والتخيلات، ويفتعل أشياء مكذوبة ، ومؤثرات مصنوعة فيتهافت عمله من الوجهة الفنية ، ولا يصبح من فن القصة في شيء ، فالقصة روح قبل أن تكون هيكلاً ، وقالباً ومظهراً .
(١٠) يجب على الكاتب أن يحصر عمله في إبراز الفكرة الأساسية التي هي جوهر الموضوع ، بحيث لا يجعل التفاصيل الثانوية والحوادث الفرعية تطغى على ذلك الجوهر الجديد بالعناية والإيثار ، والكاتب المتقن هو الذي يمتلك زمام الموضوع ، كالفارس القابض على زمام فرسه .[١]

هذه هي بوجه عام الشروط التي تشترط في القصة حتى تكون عملاً فنياً متكاملاً ، وهذه الشروط معالم رئيسية اتفق النقاد على

---

(١) التعبير الفني في القرآن : د/ بكري أمين ، ص ٢١٦ ، والقصة في القرآن ، د / محمود ابن الشريف ، ص ٣٠ ، ٣٣ ، والقصص القرآني : د / بلبول ، ص ٥٤ (بتصرف) .

وجوبها ووجودها ، وباكتمالها يتحقق العمل القصصي الراقي ذو القيمة العالية .

المبحث الثالث

(علاقة القصة بفنون الأدب المختلفة)

الفنون الأدبية كثيرة ومتنوعة ، يهتم بها الأدباء كثيراً ، ويعنون بدراستها، والتأليف فيها، من هذه الفنون الأدبية: الأقصوصة ، والرواية والملحمة ، والحكاية ، والتمثيلية ، والمسرحية ، والأسطورة ، والمقامة والمقالة ... الخ، وتلك هي أبرز الفنون الأدبية ، وللقصة علاقة وارتباط بهذه الفنون ، تشترك معها في بعض المعاني ، وإن كانت تخالفها في البعض الآخر ، لذا رأيت أن أعقد مقارنة بين القصة وبين هذه الفنون ، فأقول :

(١) الأقصوصة

جاء في المعجم الوسيط : الأقصوصة هي القصة القصيرة ، والجمع أقاصيص .[١]

والأقصوصة اصطلاحاً : هي سرد مكتوب أو شفوي يدور حول أحداث محدودة .[٢]

وقيل هي : القصة القصيرة المقتصرة على الحادثة المعالجة لجانب من حياة معينة "[٣] . ويشترط لها الأدباء شروطاً وهي : كما يقول الدكتور محمود بن الشريف :

(١) أن تقتصر الأقصوصة على سرد حادثة ، أو عدة حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته ، فهي تشمل من حياة أشخاصها فترة محدودة ، أو حادثة خاصة ، أو حالة شعرية معينة ، وهي مع قصرها يجب أن تكن ناضجة من حيث التحليل والمعالجة .

---

(١) المعجم الوسيط ٢ / ٧٣٩ .

(٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د/ سعد علوش ، ص ١٨١ ، ط. دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(٣) القصة في القرآن : د/ محمود بن الشريف ، ص ٢٣ .

(٢) أن يكون التركيز الفني فيها عالياً ؛ وذلك لأن المجال أمام كاتبها ضيق ومحدود ، فهي تدور على محور واحد، ولا تتناول الجزئيات ، ولا تقبل التشعب والاستطراد .

(٣) لا يشترط لها بدء ولا نهاية لتصل إلى هدفها المرسوم .

(٤) يجب أن يكون أداؤها قوياً موحياً منذ اللحظات الأولى ،ويتحقق ذلك بالاعتماد على التعبير اللفظي الحافل بالصور والظلال ، ولذا تسقط الأقصوصة البطيئة الحركة الباردة العبارة [١] .

هذه هي مجمل الشروط التي اشترطها الأدباء في الأقصوصة ، ولكن متى نشأت الأقصوصة ؟ .

يجيب عن هذا السؤال الدكتور/ عبده بلبول فيقول : " يرى الأدباء أن الأقصوصة لون من أحدث الألوان في الأدب العربي، حيث لم تظهر إلى الوجود إلا في القرن التاسع عشر الميلادي ، والحق أن الأقصوصة موجودة في القرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، وكذلك القصة البالغة القصر ، والقصة الإشارية .[٢]

ومن خلال ما سبق يمكن إجمال الفروق بين القصة والأقصوصة فيما يلي :

(١) القصة أرحب مساحة من الأقصوصة ، فهي تعالج حالة أو حالات ، وتعرض للبواعث، وتبحث في الأسباب، وتذكر الدوافع، وتستعرض المقومات ، لتصل إلى النتائج ، بخلاف الأقصوصة ، فإن كل ذلك لا يتحقق لها .

(٢) القصة لابد لها من بدء ونهاية لتصل إلى هدفها وغايتها ، أما الأقصوصة فلا يشترط لها ذلك .

(٣) لا يتطلب في القصة التركيز الفني ، وذلك لسعة مساحتها ، بخلاف الأقصوصة التي لابد فيها من ذلك التركيز ، لأن المجال أمام كاتبها ضيق ومحدود .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) القصص القرآني : د، بلبول ، ص ٣٨ .

(٤) أسلوب القصة يمكن أن يكون أدبياً ، أو عامياً ـ ما عدا القصص المنزلة فلابد أن يكون أسلوبها أدبياً ـ أما الأقصوصة فلابد أن يكون أسلوبها أدبياً قوياً يعتمد على التعبير اللفظي الحافل بالصور والظلال .

(٥) الأقصوصة نوع من أنواع القصة ، وهي القصة القصيرة ، وعلى هذا فالقصة أعم من الأقصوصة .

(٢) الرواية

جاء في المعجم الوسيط : الرواية : القصة الطويلة ، وهي لون مستحدث من ألوان الأدب [١] .

والرواية اصطلاحاً : هي القصة الطويلة ، المشتملة على جميع الحوادث والتفصيلات الزاخرة بحياة تامة ، أو أكثر من حياة في مراحلها المختلفة[٢].

وميدان الرواية فسيح أمام الكاتب يحلل الأشخاص ، ويكشف الستار عن حياة الأبطال ، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من وقت ، ومهما تحتاج من معالجة ، ولا يفرغ منها إلا وقد ألم بحياة البطل ، أو الأبطال في مراحلها المختلفة .[٣]

ومن أهم الفروق بين القصة والرواية ما يلي :

(١) القصة من حيث الطول والقصر، تتوسط بين الرواية والأقصوصة وكاتبها يعالج فيها جوانب أرحب من الأقصوصة ، وأقل من الرواية ، والزمن فيها قد يمتد ، والحوادث قد تتطور ، وعلى هذا فالرواية أوسع زمناً ، وأكثر حوادثاً ، وأعمق تحليلاً ، وأرحب تطوراً ، وهي تزخر بحياة تامة أو أكثر من حياة من بدايتها إلى نهايتها بكل جزئياتها وتفصيلاتها .

---

(١) المعجم الوسيط : ١ / ٣٨٤ .

(٢) القصة في القرآن ، ص ٢٧ .

(٣) التعبير الفني في القرآن ، ص ٢١٥ (بتصرف) .

(٢) الرواية ، أو القصة الطويلة موجودة في القرآن كقصة موسى ، ويوسف عليهما السلام ، إلا أنه لا يجوز إطلاق اسم الرواية على قصص القرآن تأدباً ، ولأن الله تعالى لم يسمه بذلك .

* * *

(٣) الملحمة

قال ابن منظور ـ رحمه الله ـ : الملحمة: الوقعة العظيمة القتل ، وجمعها ملامح [١] .

والملحمة اصطلاحاً : هي سرد أحداث لواقعة عظيمة فيها فتن وصراع ، ويغلب عليها أن تكون شعراً ويقل ، بل ويندر ورودها في صورة نثر .[٢]

وفي معجم المصطلحات الأدبية: الملحمة قصيدة قصصية طويلة موضوعها الحرب والبطولة. [٣]

ويقسم الأدباء القصيدة الشعرية التي تتحدث عن الحرب والبطولات والفتن والصراع إلى قسمين :

(١) إذا اشتملت على مائة بيت فإنها تسمى قصيدة حربية .

(٢) إذا اشتملت على أكثر من مائة بيت فإنها تسمى بالملحمة .

والأدب العربي لم يخل من الشعر الملحمي مثل : أيام العرب ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ، وقصائد عنترة بن شداد ، وغير ذلك[٤] .

<u>ومن أهم الفروق بين القصة والملحمة :</u>

(١) أن الغالب على القصة أن تكون نثراً ، ويندر ورودها في صورة الشعر ، وإذا جاءت في صورة شعر كانت قصة شعرية يشترط فيها ما يشترط في القصة النثرية .

---

(١) لسان العرب : ٥ / ٤٠١٢ .

(٢) القصة في القرآن ، ص ٤٧ .

(٣) معجم المصطلحات الأدبية ، ص ٢٠٥ .

(٤) القصص القرآني ، د / بلبول ، ص ٣٨ ، والقصة في القرآن ، ص ٤٧ (بتصرف) .

أما الملحمة فعلى العكس من ذلك ، إذ الغالب عليها أن تكون شعراً في قصيدة تزيد على مائة بيت ، ويندر أن تأتي في صرة نثر.

(٢) موضوعات القصة متعددة ومتنوعة ، وقد تشمل القصة الواحدة على أحداث مختلفة متنوعة، أما الملحمة فإن أحداثها كلها تدور حول الحرب ، والبطولة ، والفتن ، والصراع .

(٤) الحكايــة

الحكاية في اللغة هي : ما يحكى ويقصُّ وَقعَ أو تُخِّيلَ . [١]

والحكاية اصطلاحاً: كما في معجم المصطلحات الأدبية هي : سرد كتابي أو شفوي يدور حول تيم معين ، وهي تقليد قديم يتوخى البساطة والعبرة عبر أشواط تشويقية ، ولم تحظ باهتمام الدارسين إلا حديثاً .

والحكاية الشعبية : هي شكل سردي تقليدي تضم صور الشعوب وبطولاته الأخلاقية والتعليمية ، والاجتماعية بشتى مغامراتها ، وهي مجهولة المؤلف غالباً ، يتناقلها الناس شفوياً .[٢]

وعرف الدكتور محمود بن الشريف الحكاية بأنها : سرد واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة ، بل يرسل الكلام إرسالاً كما يواتيه طبعه ، وهي غالباً تكون منقولة عن أفواه الناس "[٣] .

وأهم الفروق بين القصة والحكاية ما يلي :

(١) أن الحكاية لا يلتزم الحاكي فيها بقواعد الفن الدقيقة ، بل يرسل كلامه إرسالاً، ولا تشتمل على عقدة يراد حلها،أما القصة فلابد أن يراعى فيها قواعد الفن الأدبي، وأن تشتمل على عقدة يراد حلها .

---

(١) المعجم الوجيز ، ١ / ١٩٠ .

(٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص ٧٣ .

(٣) القصة في القرآن ، د/ محمود بن الشريف ، ص ٢٨ .

(٢) مصدر الحكاية هو أفواه الناس،ومؤلفها غالباً مجهول غير معروف أما القصة فمعروفة المصدر والمنشأ .
(٣) الحكاية أسلوبها عادي دارج ، وربما عامي، وكثيراً ما يغلب عليها الخيال وافتعال الأحداث ، وغالباً ما يتناقلها العوام ، وهذا بخلاف القصة التي يغلب أن يكون أسلوبها أدبياً ، وأن تكون واقعية ، وأن يتناقلها الخاصة والمثقفون .
(٤) أبرز ما تشتمل عليه الحكاية من عناصر : هو عنصر التشويق ، حتى تجذب إليها العوام ، أما القصة فالاهتمام بعناصرها على السواء .
(٥) لم تحظ الحكاية باهتمام الدارسين إلا حديثاً ، وهذا بخلاف القصة ، ولا يجوز إطلاق الحكاية على قصص القرآن تأدباً، ولأن الله لم يسمه بذلك .

(٥) التمثيلية

جاء في المعجم الوسيط : يقال مثَّل الشيء لفلان : صوَّره له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه ، ومثَّل المسرحية عرضها على المسرح عرضاً يمثل الواقع للعظة والعبرة .[١]

والتمثيلية اصطلاحاً : هي عمل فني منثور أو منظوم يقوم على قواعد خاصة ليمثل حادثاً حقيقياً ، أو متخيلاً تعبيراً عن غرض "[٢].

وفي القصص القرآني : التمثيلية : هي تصوير لمواقف بالكتابة ، أو الحركة ، أو غيرهما .[١]

وأهم الفروق بين القصة والتمثيلية ما يلي :

(١) أن القصة تعتبر أحد الأصول التي تبنى عليها التمثيلية ، فإن أصل التمثيلية قد يكون القصة أو الحكاية ، أو الأسطورة ... الخ .

---

(٣) المعجم الوسيط ، ٢ / ٨٥٣ .

(٤) المعجم الوجيز ، ص ٥٧٢ .

(١) القصص القرآني : د/ بلبول ، ص ٣٨ .

(٢) التمثيلية تصوير للمواقف والأحداث ، أما القصة فهي تعبير وإخبار
(٣) التمثيلية: لون أدبي وافد علينا من الغرب ، فهي حديثة الوجود بالنسبة للقصة القديمة الوجود العميقة الجذور .

(٦) المسرحية

المسرحية : قصة معدة للتمثيل على المسرح ، والمسرح : مكان تمثل عليه المسرحية .[٢]

والمسرحية لون من ألوان الأدب مستحدث في الأدب العربي ، وافد عليها من الغرب ، وهي غالباً ما تتعرض لمشكلات المجتمع وتحاول حلها ، وغالباً ما يكون أسلوبها ساخراً هازلاً .[٣]

وأهم الفروق بين القصة والمسرحية ما يلي :
(١) أن القصة تعتبر أحد الأصول التي تبنى عليها المسرحية .
(٢) يغلب على المسرحية أن يكون أسلوبها ساخراً هزلياً ، تغلب عليه الفكاهة والمرح ، وهذا بخلاف القصة .
(٣) المسرحية لون أدبي مستحدث وافد من الغرب، أما القصة فهي فن قديم .

(٧) الأسطورة

الأسطورة : جمعها أساطير، كما قالوا: أحدوثة، وأحاديث ، والأساطير هي: الأباطيل والأكاذيب والأحاديث العجيبة، يقال: سطَّر علينا : أتى بأحاديث تشبه الباطل، وهو يسطِّر الأساطير ، أي : يؤلف ما لا أصل له [٤] .

والأسطورة اصطلاحاً : هي قصة خرافية صاغها الإنسان البدائي الأول على حسب ما أوحاه له خياله الضعيف تجاه مظاهر الطبيعة ، ثم بعد ذلك تطورت فخرجت عن هذا الجو المتعلق بمظاهر الطبيعة ،

---

(٢) المعجم الوسيط ، ١ / ٤٢٦ .
(٣) القصص القرآني ، د / بلبول ، ص ٣٨ .
(٤) لسان العرب : ٣ / ٢٠٠٧ ، والمعجم الوسيط : ١ / ٤٢٩ .

وتعلقت بخيال الإنسان ، ورغم ذلك فإن جو الخرافة كان دائماً يسيطر عليها .[١]

هذا هو معنى الأسطورة ، إنها حديث باطل من وحي الخيال ، ولا تطلق إلا على الأكذوبة من الكلام ، والقول غير المعقول ، الذي يشتمل على سخافة وعبث وعجائب ، وليس له في أرض الواقع والصدق نصيب .

وأهم الفروق بين القصة والأسطورة ما يلي :

(١) الأسطورة دائماً تكون كاذبة وباطلة من وحي الخيال ، وتوهم الباطل ، بخلاف القصة التي تكون واقعية صادقة ، وتكون خيالية وهذا النوع الخيالي لا يطلق عليه اسم الأسطورة إلا إذا اشتمل على خرافة وكذب لا يصدقه عقل، ويمكن أن يقال : إن الأسطورة نوع من أنواع القصة، وقسم من أقسامها،وهو: القصة الأسطورية.

(٢) مصدر الأقصوصة في بدايته هو خيال الإنسان البدائي الأول ، فقد صاغ الأسطورة بخياله عندما فسر مظاهر الطبيعة ، أما القصة فمصدرها العقل المستنير ، والعاطفة الجياشة ، والإحساس الصادق ... الخ .

(٣) رغم أن الأسطورة خرافة لا أصل لها ، إلا أنها غيرت سلوك الناس في العهد البدائي الذي وجت فيه ، فقد انقاد لها الناس أزماناً طويلة في اعتقاداتهم ، وعباداتهم ، وطقوسهم ، وسلوك حياتهم وهذا ما لم يتحقق للقصة .

(٨) المَقَامَة

جاء في المعجم الوسيط: المقامة قصة قصيرة مسجوعة تشتمل على عظة أو مُلْحة ، كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم [٢] .

وقد نشأت المقامة عندما شاعت المحسنات اللفظية بين الكتاب الذين اهتموا بالألفاظ دون المعاني بعد أن ظهر اللحن ، ودخلت على

---

(١) القصة في القرآن ، ص ٣٨ .

(٢) المعجم الوسيط ، ٢ / ٧٦٨ .

اللغة العربية كلمات دخيلة ، وكان ذلك عندما اتصل العرب بالعجم بعد اتساع الدولة الإسلامية .

يقول الدكتور محمود بن الشريف رحمه الله: " عندما اتسعت الدولة الإسلامية ، واتصل العرب بغيرهم من العجم ، هجمت على العربية كلمات دخيلة ، وظهرت العامية تحارب الفصحى ، فبدأ أنصار العربية ينبهون الناس إلى الخطأ ، ويرشدونهم إلى الصواب ، وقامت المنافسة بين أنصار الفصحى كل كاتب يريد أن يتفوق على زميله في الإنشاء ، واختيار الكلمات، فاهتموا باللفظ دون المعنى، فشاعت المحسنات اللفظية والتزويق ، والسجع ، حتى أصبح كل ما يكتب مسجوعاً ، وفي ذلك الجو نشأت المقامات "[١].

وعن تصوير المقامة ومظاهرها وغرضها يقول الدكتور محمود بن الشريف رحمه الله: المقامة أشبه بالقصة، فإن لها بطلاً وهمياً يروي المؤلف على لسانه ما شاهده من حوادث، وما سمعه من أخبار، بأسلوب مسجوع ، وهي أشبه بالقصة لأنها خلت من أهم مميزات القصة وهي العقدة ، وخلت من الحادثة ، ومن الشخصيات، وتحليل النفسيات ، فليس هناك شخصيات ، بل عرض مواعظ وألغاز ونكت مستملحة ، فالمقامة ليس لها أية قيمة قصصية ، وإن كانت موضوعة في القالب القصصي ، والغرض من المقامات هو عرض الموعظة ، أو النكتة ، أو الألغاز اللغوية والنحوية بألفاظ غريبة ، وأسلوب مسجوع ، وأول من برع في كتاب المقامات هو بديع الزمان الهمذاني[٢] المتوفى سنة ٣٩٨هـ[٣] .

وأهم الفروق بين القصة والمقامة ما يلي :

(١) أن المقامة أشبه بالقصة ، لأنها خالية من أهم ما يميز القصة : العقدة ، والحدث ، والشخصية ، والتحليل .

---

(١) القصة في القرآن ، ص ٣٩ .

(٢) هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني ، الملقب ببديع الزمان ، ولد سنة ٣٥٨هـ ، وكان أحد الأئمة الكتاب ، قوي الحافظة ، يضرب المثل بحفظه ، من مؤلفاته : المقامات ومجموعة الرسائل ، وديوان شعر ، توفى مسموماً سنة ٣٩٨ هـ ، (معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢ / ١٦١) ط. عيسى الحلبي) .

(٣) القصة في القرآن ، ص ٤٠ .

(٢) لابد أن يكون المقامة مسجوعة ، وهذا لا يشترط في القصة .
(٣) الغرض من المقامة هو عرض الموعظة، أو الألغاز النحوية ، واللغوية ، أو النكت المستملحة ، أما الغرض في القصة فمتنوع ، ومتعدد بحسب نوعها .
(٤) ليس للمقامة أية قيمة قصصية ، وهي وإن كانت موضوعة في القالب القصصي فليس لها من القصة إلا اسمها .
(٥) القصة أقدم ظهوراً من المقامة ، فالقصة موجودة منذ بدء الخليقة ، والمقامة ظهرت في عصر اتساع الدولة الإسلامية .

(٩) المقـالة

جاء في المعجم الوسيط : المقالة هي : بحث قصير في العلم أو الأدب ، أو السياسة ، أو الاجتماع ينشر في صحيفة أو مجلة ، وهي لفظة محدثة [١] .

والمقالة أنواع: فقد تكون علمية، أو أدبية ، أو سياسية ، أو فكرية أو اجتماعية ، أو رياضية ...الخ ، وهي تطرح فكرة ، ثم تحليل لها ، ثم اقتراح حلول لها ، ثم خاتمة للفكرة ، وكل ذلك يصاغ صياغة جيدة تظهر فيه الموعظة والحكمة ظهوراً جلياً واضحاً [٢] .

وأهم الفروق بين القصة والمقالة ما يلي :
(١) المقالة بحث قصير لا يطول ، وإلا فقد قوامه وخصائصه بخلاف القصة، قد تقصر، أو تطول ، أو تكون وسطاً بين الطول والقصر.
(٢) القصة قديمة ، والمقالة حادثة لم تعرف إلا في العصر الحديث .
(٣) الفكرة في المقالة لابد أن تصاغ في قالب موعظة ، أو حكمة ، حتى يخلص القارئ إلى فكرة المؤلف بمعونة منه ، أما القصة فلا يشترط فيها ذلك ، فيجب أن تكون الحكمة أو الموعظة مطوية في ثنايا الحوادث ، يخلص إليها القارئ من نفسه .

---

(١) المعجم الوسيط ، ٢ / ٧٦٧.
(٢) القصة في القرآن ، ص ٣١ .

(٤) القصة فيها عنصر القص والمتابعة ، بخلاف المقالة التي يغلب عليها طابع البحث ، وهو طرح الفكرة ، وتحليلها ، واقتراح حلول لها ، ثم الخاتمة لها .

وبذلك يعلم : أن القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله ، ذلك أن القرآن الكريم لم يعرض القصة لأنها عمل فني مستقل في موضوعه، وطريقة التعبير فيه ، كما أنه لم يأت بالقصة من أجل التحدث عن أخبار الماضين ، وتسجيل حياتهم وشئونهم ، كما يفعله المؤرخون ، وإنما كان عرض القصة في القرآن الكريم مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية ، التي جاء الكتاب الكريم من أجلها ، يهدف من راء ذلك بصورة أساسية إلى عملية التغيير الاجتماعي بجوانبه المختلفة .

هذا والله أعلى وأعلم .

❋❋❋

(الخاتمة)

من خلال ما سبق تَوصَّلتُ إلى عدة نتائج أجملها فيما يلي :

(١) أن القصص القرآني يعد موطناً خصباً، وموضعاً غنياً ، لاستخراج الجوانب الإيجابية والسلبية ، المحمودة والمذمومة ، والتي ركز عليها القرآن الكريم، وهو يصور لنا شخصيات الرسل والأقوام، فنقل إلينا خلجات النفوس، وميول القلوب ، وشهوات النفوس ، وأخلاق الناس ، وعقليات الأقوام، وتفكير الجنس البشري ، ومدى قوة عقلها وضعفها ، وثقلها وخفتها ، وصلابتها وهشاشتها ، وجمودها وتحجرها ، وتقليدها وتخلفها .

(٢) أن القرآن الكريم أبرز من خلال القصص الشخصيات بحركة عقولها ، وصورة عواطفها ، وهيئة انفعالاتها النفسية والوجدانية ، على وجه قويم ، وطريقة باهرة ، حيث صور لك ذلك وكأنك تشاهده ، بل وتعيش معه .

(٣) أن القصص القرآني حملت رايته منذ بداية أحداثه إلى نهايتها الإرشاد ، والتوجيه ، والتقويم ، والتهذيب ، والتعليم ، والإصلاح لما فسد من الاعتقاد ، وما انتشر عن الأمور المتعلقة بالتوحيد .
(٤) بيان أن بلاغة القرآن في أعلى مراتبها : فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب ، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .
(٥) أن القصص القرآني يمتاز بأسلوبه المعجز في سرد أحداثه ، محققاً بذلك الغرض الأسمى في ظل السرد القصصي .
(٦) أن القصة القرآنية ضربت النموذج الكامل في البناء القصصي ، لذا فمهما بلغت درجة ملامح الجدة في القصص البشري الوضعي من تطور ، إلا أنها بعيدة المنال عن ملامح القصص القرآني، وهذا لطبيعة النص القرآني المعجز.
(٧) أن محاولة فرض مقاييس القصة الفنية على القصص القرآني محاولة غير سديدة ؛ لأن القصص القرآني شيء ، والقصص الفني شيء آخر ، فالقصص الفني لا يتقيد بالحقائق التاريخية ، فلكاتب القصة الفنية مطلق الحرية في استلهام الأساطير والخيال، ولا بأس عليه إذا أسند إلى الشخصيات التاريخية ما لم تقله ولم تفعله ، بل لكاتب القصة أن يتخيل بطلاً خيالياً يسند إليه ما لم يحدث منه .

أما القصة في القرآن الكريم ، فإنها حقيقة لا أساطير فيها ، وصدق لا كذب فيه .

ومن ثم قد تطعن القصة الفنية من جوانب كثيرة ، لكن القصة القرآنية لا يستطيع الناس جميعاً أن يجدوا فيها مطعناً .
(٨) يتميز القصص القرآني بخصائص فريدة عن غيره من القصص : من الواقعية الصادقة ، وجاذبية في العرض والبيان ، وشمولية في الموضوع ، وعلو في الهدف ، وتنويع في المقصد والغرض ، ووضوح في الإعجاز .

(٩) الخيال في القصص القرآني خيال تعبيري ، وأما الخيال في القصص الأدبي فخيال فني[١] .

(١٠) لا ينبغي أن يقال بأن القرآن الكريم يشتمل على قصص أدبي أسطوري، لأن القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

(١١) لا يعيب القصص القرآني أنه يخالف القصص البشري ، بل يميزه لأن لكل بيان خصائصه التي تسري من خلاله ، وسماته التي تتراءى بين ثناياه ، بحيث يتميز كل بيان عن غيره ، ومن ثم فلا يصح أبداً أن نخضع القصص القرآني للمقاييس النقدية والظواهر القصصية المتعارف عليها ، لأنه نسيج وحده في الشكل والمضمون على حد سواء .[٢]

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين) .

(فهرس المصادر والمراجع)

"مرتباً على حسب تصنيف العلوم وعلى الترتيب الأبجدي داخل كل علم"

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : التفسير وعلوم القرآن والقصة القرآنية .

- الإتقان في علوم القرآن - للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط . دار الفكر ، بيروت .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - المعروف (بتفسير أبي السعود)، للعلامة محمد بن محمد بن مصطفى (أبي السعود) ، ط دار الفكر ، بيروت .

---

(١) أباطيل الخصوم حول القصص القرآني ، د/ عبد الجواد المحص ، ص ١٨٠ ، الموسوعة القرآنية المتخصصة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص ١٨١

(٢) السابق نفسه .

- أسباب النزول ـ للإمام الواحدي ، ط . عالم الكتب ، بيروت .
- البرهان في علوم القرآن ـ للإمام الزركشي ، ط . دار المعرفة ، بيروت .
- التصوير الفني في القرآن ـ للأستاذ سيد قطب ، ط. دار الشروق .
- التعبير الفني في القرآن ـ للشيخ بكري شيخ أمين،ط. دار الشروق.
- تفسير التحرير والتنوير ـ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ط. الدار التونسية للنشر .
- تفسير الفخر الرازي ـ للإمام محمد فخر الدين الرازي ـ ط. دار الفكر ، بيروت .
- تفسير القرآن الحكيم ، المعروف (بتفسير المنار) ـ للشيخ / محمد رشيد رضا ، ط. دار الفكر ، بيروت .
- تفسير القرآن العظيم ، المعروف (بتفسير ابن كثير) ـ ابن كثير ، ط. مكتبة مصر .
- التفسير القرآني للقرآن ـ للأستاذ عبد الكريم الخطيب ، ط . دار الفكر العربي بمصر .
- تفسير روح البيان ـ للعلامة البروسوي ، ط. دار سعادات .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المعروف (بتفسير الطبري) ـ للإمام محمد بن جرير الطبري ، ط. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- الجامع لأحكام القرآن،المعروف (بتفسير القرطبي) ـ لمحمد بن أحمد القرطبي، ط. دار الريان للتراث .
- الجواهر في تفسير القرآن ـ للشيخ طنطاوي جوهري ، ط. مصطفى البابي الحلبي .
- أباطيل الخصوم حول القصص القرآني ـ د/ عبد الجواد المحص ، ط. الدار المصرية .
- حالنا مع القرآن ـ عبد الكريم عبد الله العلي ، ط. دار التراث .
- خصائص القرآن الكريم ـ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان ، ط. دار الريان .

- دراسات قرآنية ـ للأستاذ محمد قطب ، ط. دار الشروق .
- سيكولوجية القصة في القرآن ـ للدكتور/ تهامي نفرة ، رسالة دكتوراه من جامعة الجزائر ، منشورة ، ط. الشركة التونسية للنشر.
- فن القصص ـ للأستاذ/ محمود تيمور ، ط. مجلة الشرق .
- في ظلال القرآن ـ للأستاذ/ سيد قطب ، ط. دار الشروق .
- القرآن والقصة الحديثة ـ للأستاذ/ محمد كامل حسن، ط. دار الكتب بيروت .
- القصة في القرآن ـ د/ محمود بن الشريف، ط. دار ومكتبة الهلال.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ـ للأستاذ/ عبد الكريم الخطيب ، ط. دار الفكر ، بيروت .
- القيم التربوية في القصص القرآني ـ للدكتور/ سيد طهطاوي ، ط. دار الفكر العربي .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، ط . مكتبة مصر .
- لباب التأويل في معاني التنزيل ـ الخازن ـ ط. دار الشروق .
- مجموع الفتاوي ـ ابن تيمية ، ط. دار الحديث .
- من ضيع القرآن ـ شوقي أبو خليل ، ط . دار الفجر .
- من لطائف البيان في سورة يوسف عليه السلام ـ د، محمد بكر إسماعيل ، ط . دار المنار .
- من وحي القرآن ـ د/ إبراهيم السَّامرائي ، ط. اللجنة الوطنية بالعراق.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ـ د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي ، ط . دار الفكر .
- نظرات في قصص القرآن ـ للأستاذ/ محمد قطب عبد العال،ط. إدارة الصحافة والنشر ، مكة المكرمة .
- الوجوه والنظائرلألفاظ كتاب الله ومعانيها ـ للدمغاني، ط.مؤسسة الرسالة.

ثالثاً : الحديث وعلومه :

- تهذيب التهذيب ـ للإمام أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني ، ط. دار الفكر ، بيروت .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبو نعيم الأصفهاني ، ط. دار الفكر ، بيروت .
- شرح الموطأ ـ للإمام الزرقاني ، ط. مصطفى البابي الحلبي .
- صحيح البخاري ـ للإمام البخاري ، ط. إحياء الكتب العلمية ، بيروت .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ للإمام ابن حجر العسقلاني ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .
- موطأ الإمام مالك برواية القعنبي ، ط. دار الغرب الإسلامي .

رابعاً : التربية :

- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ـ محمد قطب ، ط. دار الحديث .
- منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ط. دار الشروق .

خامساً : المعاجم والموسوعات :

- أساس البلاغة ـ للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، ط. مكتبة الكتبي .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ للإمام محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- التعريفات ـ للإمام على بن محمد الجرجاني ، ط . مكتبة ومطبعة الفكر ببيروت .
- لسان العرب ـ محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، ط. دار صادر، بيروت
- المصباح المنير ـ لأحمد بن محمد الفيومي ، ط. دار الحديث .
- معجم الأدباء ـ لياقوت الحموي ، ط. عيسى البابي .
- المعجم الفلسفي ـ جميل صليبا ، ط. دار الثقافة .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الحديث
- المعجم الوجيز ـ إعداد مجمع اللغة العربية، ط. وزارة التربية والتعليم بمصر.
- المعجم الوسيط ـ إعداد مجمع اللغة العربية ، ط. مجمع اللغة العربية .
- الموسوعة القرآنية المتخصصة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط. القاهرة.

سادساً : الأدب :

- الأغاني ـ لأبي الفرج الأصفهاني ، ط . دار الفكر ، بيروت .
- خزانة الأدب ـ للبغدادي ، ط . مكتبة الخانجي ، بالقاهرة .

سابعاً : التراجم والسير والتاريخ :

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ للإمام على بن محمد المعروف بابن الأثير ، ط. دار الفكر ، بيروت .
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين ـ تأليف : خير الدين الزركلي ، ط . دار العلم ، بيروت.
- البداية والنهاية ـ للإمام إسماعيل بن عمرو بن كثير ، ط. دار الريان للتراث .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ للحافظ المزي ، ط. مؤسسة الرسالة .
- سير أعلام النبلاء ـ للإمام محمد بن أحمد الذهبي ، ط . مؤسسة الرسالة .
- السيرة الصحيحة ـ د/ أكرم العمري ، ط. دار التراث .
- مختصر سيرة ابن هشام ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ للإمام أحمد بن محمد ، المعروف بابن خلكان ، ط. دار صادر بيروت .

ثامناً : الدواوين :

- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ط . دار صادر بيروت .

تاسعاً : الرسائل العلمية :

- الجوانب العقلية والعاطفية في القصص القرآني ـ د/ أحمد حسين ، رسالة دكتوراه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة .
- عبد الكريم الخطيب ومنهجه في التفسير ـ إعداد / أوان بن حاج زركش ـ كلية الدراسات الإسلامية بالقاهرة ، رسالة ماجستير.
- علم النفس من القرآن الكريم ـ رسالة دكتوراه ـ إعداد د/ شحات حسب الفيومي ، بكلية أصول الدين بالقاهرة .
- القصص القرآني ـ رسالة دكتوراه ، بكلية أصول الدين بالقاهرة ، إعداد / عبده إبراهيم بلبول .